جامـــــعة يـحـــى فـــــــارس - المـــــــــــدية

كليـــة العلـــوم الإنســـــانية والاجتماعية

قسـم التاريخ





الشعوبية في عهد الأمين والمأمون العباسيين

193هـ / 218هـ

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر في التاريخ الوسيط

تخصص: تاريخ و حضارة العصر الوسيط

إعداد الطالبين:

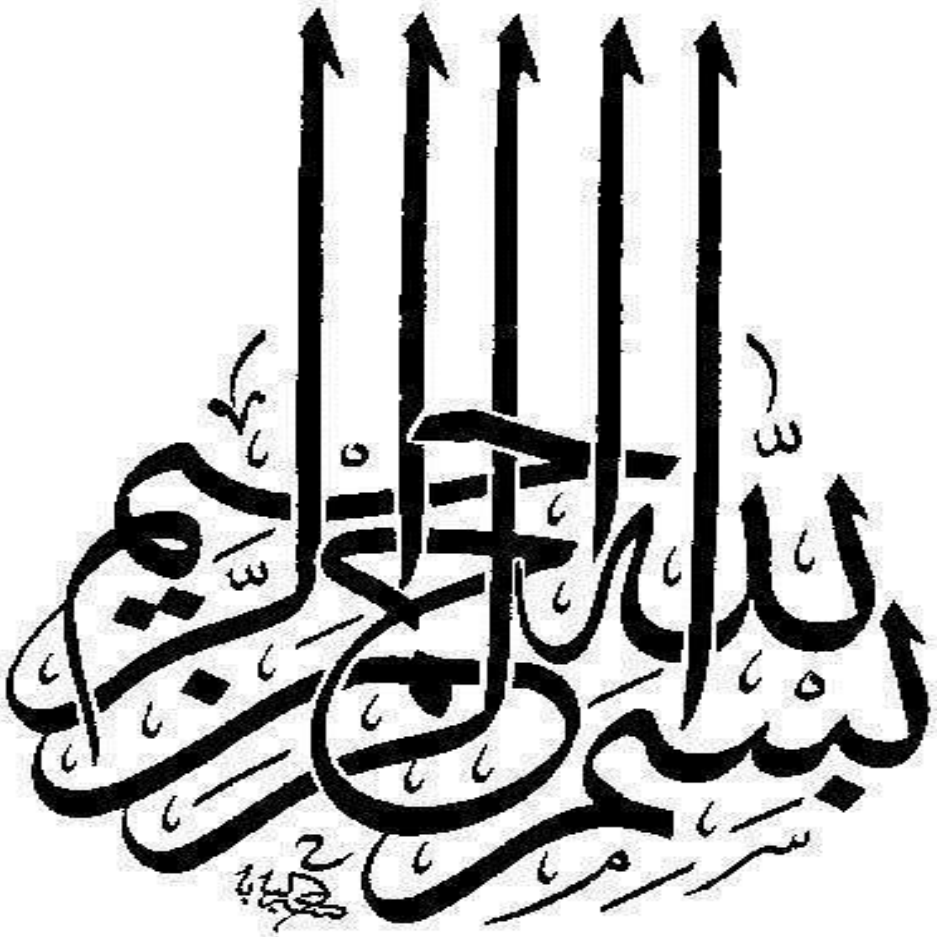
- أحمد بسيلة

- الطاهر بن عمري

إشراف الأستاذ:

- موهوبي نور الدين

السنة الجامعية 2018/2017



إهـــــــــداء

إلى من حملتني وهنا على وهن و تحملت كل العناء؛ إلى من كانت كالشمعة تحترق لتنير لنا الحياة؛ إلى من الجنة تحت قدميها **أمي** الغالية....

.....إلى ركيزة البيت الذي يمثل رمز العطاء و الوفاء الذي أنار دربي بوجوده و دعمه، الذي ذاق مرارة التعب و مشقة الحياة من أجلنا إلى من علمني معنى التحدي و الصبر و الثبات **أبي** الغالي.

و إلى روح **جدتي** الطاهرة الساكنة في أعماقنا رحمها الله و أسكنها فسيح الجنان.....

إلى كل شموع قلبي الذين أفتخر بهم إخوتي أسال الله أن يبقيهم سندي لي طوال عمري .

و إلى كل زملائي و من له صلة بي من قريب أو بعيد.....

.....أحمد

إهـــــــــداء

الحمد لله رب العالمين الذي وفقني بفضله و نعمته لطلب العلم و قدرني علي

إنجاز هذا العمل و الصلاة السلام علي أشرف المرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه و سلم.

أهدي عملي هذا ثمرة سنوات من الدراسة و سعي في طلب العلم إلى من كانت

سبب في بلوغي هذه المرتبة إلي من سهرت على رعايتي و ربتني صغيراً و كانت

سند و الدعم لي في كل حياتي إلى من كانت هي الدافع لمواصلة المشوار و بذل المزيد من الجهد إلى أمي

إلى من كان دافعي و من كان منبع قوتي و قدوتي في الحياة إلي المصباح الذي

أنار دربي و وجهني إلى طريق الصحيح إلى من تعب و شقى في سبيل راحتي إلي

أبي

إلى أخوتي..... و إلى كل الأساتذة الذين درسوني منذ كنت طفل لا أعلم شيء إلي يومنا هذا

إلى كل من ساهم في إنجاز هذا العمل

و إلى كل زملائي في الجامعة و الذين سعدت بمعرفتهم و الدراسة معهم طيلة

الخمس سنوات إلى كل من أحمد بسيلة بشير عقوني. سعيدي رياض. مرقب الزبير

و القائمة تطول.....

..... الطاهر.....

شكر و تقدير

الشكر لله أولا و أخيرا، و الحمد لله الذي قدرنا على انجاز هذا العمل، و نرجوا أن يكون مساهمة علمية في إحياء التراث العربي الإسلامي، و الله ولي ذلك و القدر عليه.

و يبقى الشكر أيضا مقدم لكل من كانت له يد في إنجاز هذا العمل، سواء من قريب أو من بعيد، فمن لا يشكر العباد لا يشكر الله، و نخص بالشكر و التقدير الدكتور **نور الدين موهوبي** على إشرافه

الجاد و المفيد على هذا العمل، فقد كان لنا خير معين بعد الله عز و جَّل، فله منا جزيل الشكر و العرفان.

و نشكر جميع أصدقائنا للمساعدة التي قدموها لنا في ظروف جد حساسة، فكانوا خير الأصدقاء، و هم نعم الأصدقاء، و لا نستثني منهم أحد، و على رأسهم، أحمد عاشوري، ابراهيم بلحمزي، البشير عقوني، عبد الفتاح قنفود، علي سوالمي، حسين قايدي، علي غياطو، لحضر بدومي، حسام بساعد

مقدمة

مقدمة

تعد الشعوبية حركة فكرية و سياسية امتدت في المجتمع الإسلامي منذ العصر الأموي و استفحلت في العصر العباسي، و هي على ما يبدو حركة غير منظمة و غير محددة الأهداف و المبادئ تصطبغ بذاتية الأشخاص الذين آمنوا بها، و التي انطلقت على أساس من مبادئ القرآن و السنة المنادية بالمساواة و العدالة، إلا أنها لم تتوقف عند هذا الحد بل ذهبت إلى أبعد من ذلك و أصبحت تحط من شأن العرب و تحتقرهم، و في المقابل تفتخر بالعجم و تجعل لهم هالة من العظمة و المجد، فهي حركة عدائية مضادة للإسلام و العروبة، تتستر بالدين و لها مقاصد تخريبية هدامة تهدف من خلالها إلى تحطيم تراث العرب و القضاء على ملكهم و تشويه الإسلام و اعادة احياء تراث العجم و حضارتهم التي قضى علها العرب المسلمون، فهم لم يهضموا فكرة سقوط دولهم و اندثار حضاراتهم على يد العرب الذين كانوا يرون بأنهم أضعف الأم و أحقرهم و أكثرهم تخلفا، مما أشعل في نفوسهم نار الحقد و السخط فراحوا يكيدون للعرب و للإسلام و يعملون على تأجيج نار الفتن في المجتمع الإسلامي، و قد كان لهم دور كبير في الصراع الذي وقع بين الأمين و المأمون، و الذي سمح لهم بالسيطرة على الدولة بعد تولي المأمون الخلافة باعتبار أنهم هم من أوصله للخلافة.

و دراستنا هي دراسة تحليلية لما أوردته المصادر حول الشعوبية و دورها في الصراع الذي وقع بين الأمين و المأمون، و كذلك حول النفوذ الفارسي و مدى تمكنهم من السلطة في عهد الخليفة المأمون، و تمثلت إشكاليات الدراسة في إشكالية عامة جمعنا من خلالها محتوى الموضوع: فإلى أي مدى كان

تأثير الشعوبية في الحياة السياسية في عهد الأمين و المأمون و دورها في تأجيج الفتن و الصراعات في المجتمع الإسلامي؟

و قد فصلناها في تساؤلات تمثلت فيما يلي:

ـ ماهية الشعوبية؟ و ماهي مظاهرها و أهدافها؟

ـ ما هو دور الشعوبية في الصراع بين الأمين و المأمون؟

ـ ما مدى تمكن العنصر الفارسي من مقاليد الحكم و دورهم في وصول المأمون إلى الخلافة؟

ـ أسباب اختيار الموضوع:

ـ الرغبة و الميول إلى دراسة تاريخ المشرق الإسلامي و بالخوص تاريخ الدولة العباسية عامة و العصر العباسي الأول خاصة .

ـ التعرف على حركة الشعوبية و مدى تأثيرها على مسار التاريخ الإسلامي و الحضارة العربية.

ـ الاطلاع على النفوذ العنصر الفارسي في العصر العباسي الأول و مدى سعيه لإعادة احياء أمجاده.

ـ أهمية الموضوع:

ـ دراسة الشعوبية في عهد الأمين و المأمون تمكننا من معرفة الصراع الذي كان بين العرب و الفرس.

ـ معرفة أهم الشخصيات التي كانت تحمل الفكر الشعوبي و تعمل على نشر أفكارها.

ـ الاطلاع على الفكر الشعوبي و دوره في نشر الفتن في المجتمع الإسلامي.

ـ معرفة دور الشعوبية و عملها على احياء تراث و ثقافة الشعوب غير العربية و خاصة الفرس.

ـ الدراسات السابقة:

و تشمل أهم الدراسات التي تناولت الموضوع و هي قليلة منها:

ـ عبد العزيز الدوري: الجذور التاريخية للشعوبية

ـ حسين عطوان: الزندقة و الشعوبية في العصر العباسي الأول

ـ عبد الله سلوم السامرائي: الشعوبية حركة مضادة للإسلام و الأمة العربية

و هناك دراسات أخرى لم نتمكن من الاطلاع عليها مثل كتاب الشعوبية و دورها السياسي و الاجتماعي في الحياة الإسلامية في العصر العباسي الأول لزاهية قدورة، و دراسات أجرى لم نستطع الوصول اليها.

ـ المنهج المعتمد:

اعتمدنا في دراستنا هذه المنهج التاريخي التحليلي و ذلك من خلال تحليل الروايات التي أوردتها المصادر المختلفة المتعلقة بالموضوع و المقارنة فيما بينها من أجل الوصول إلى أقرب ما يمكن من الحقيقة.

ـ التعريف بأهم المصادر:

ـ الطبري(:أبو جعفر محمد بن جرير 224هـ/ 310هـ): هو صاحب كتاب التاريخ الملوك و الرسل، من أكثر المصادر اعتمادا في المذكرة و ذلك لتطرقه إلى كل الأحداث و ذكره للعديد من الروايات، و كان الجزء الثامن من أكثر الأجزاء اعتمادا و ذلك لتفصيله في الصراع بين الأمين و المأمون و ذكره جميع النصوص سواء كانت شروط ولاية العهد التي أقرها الرشيد على أبناءه ، أو الكتب التي أرسلها الأمين إلى لمأمون أثناء الصراع الدبلوماسي، و كذا تتبعه لخلافة المأمون و ذكره لنفوذ الفارسي.

ـ ابن الأثير(عز الدين أبو الحسن على بن أبي كريم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني ت630/555هـ): صاحب كتاب الكامل في التاريخ، قام بالنقل على عدة مؤرخين اعتمدنا عليه في دراسة الصراع بين الأخوين و في تتبع النفوذ الفارسي، و ذلك لاحتوائه على العديد من المعلومات التي ساعدتنا في المبحثين الثاني و الثالث.

ـ ابن كثير (إسماعيل بن كثير الدمشقي ت 774هـ): صاحب كتاب البداية و النهاية، قام بالنقل على عدة مؤرخين، اعتمدنا عليه في دراسة الصراع بين الأخوين و تتبع دور الفرس في هذا الصراع

ـ ابن خلدون (عبد الرحمن بن خلدون ت808هـ): صاحب كتاب العبر، يعتبره علماء التاريخ بأنه أول من وضع لمؤلف طريقا واضحا في عملية نقل الخبر و تصديقه، و قد أورد الكثير من المعلومات التي أفادتنا في الموضوع.

ـ **الحموي (شهاب الدين بن عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي البغدادي)**: صاحب كتاب معجم البلدان و هو من الكتب الجغرافية، كان له دور كبير في التعريف بعدة مدن و أقاليم و خصوصا في المشرق الإسلامي و كان أكثر الكتب الجغرافية استعمالا في البحث.

ـ **ابن خلكان (أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان ت681هـ)**: صاحب كتاب و فيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان، هو كتاب مختص في التراجم، ترجم لكثير من الشخصيات السياسية و العلمية و الدينية التي كان لها دور كبير في التاريخ الإسلامي، و هو أكثر كتب التراجم استعمالا في البحث.

ـ **الخطة المعتمدة**

جاءت خطتنا في دراسة موضوع الشعوبية في عهد الأمين و المأمون العباسيين (193هـ / 218هـ) في مقدمة و ثلاثة مباحث و خاتمة.

في المقدمة عرفنا الشعوبية و بداية ظهورها و تطورها ، و قمنا بطرح إشكالية عامة ثم فصلناها في مجموعة من التساؤلات، و ذكرنا أسباب اختار الموضوع و التي تمثلت في أسباب ذاتية و أسباب موضوعية، ثم تطرقنا لأهمية الموضوع و أهم الدراسات السابقة التي تناولت الموضوع، اضافة إلى المنهج المتبع في دراسة الموضوع، و عرفنا بأهم المصادر التي اعتمدنا عليها، و أخيرا تطرقنا لأهم الصعوبات التي واجهتنا في دراسة الموضوع.

ـ في المبحث الأول الشعوبية أ صولها و تطورها قمنا بتعريف الشعوبية لغة و اصطلاحا، ثم تطرقنا إلى أسباب و مراحل ظهورها و تطورها، و في الأخير تحدثنا عن أهداف الشعوبية و مظاهرها سياسيا و دينيا و ثقافيا.

ـ المبحث الثاني جاء بعنوان الشعوبية في عهد الأمين، تطرقنا فيه إلى نشأة الأمين و توليه الخلافة و تشويه تاريخه و اتهامه بفساد الأخلاق، ثم عرجنا على الصراع بين الأخوين أسبابه و مراحله، ثم ذكرنا أسباب هزيمة الأمين.

ـ في المبحث الثالث الشعوبية في عهد المأمون، تطرقنا فيه إلى دور الفرس في وصول المأمون للخلافة ثم تحدثنا على النفوذ الفارسي في عهده، و أخيرا ذكرنا الحركات الفارسية التي ظهرت في هذه الفترة.

ـ في الأخير الخاتمة التي كانت حوصلة عامة للمذكرة و إجابة على الإشكالية التي أوردناها في المقدمة، كما اشتملت على أهم النتائج المتوصل اليها.

ـ الصعوبات

ـ قلة المصادر و المراجع التي تحدثت عن الشعوبية، اضافة إلى اختلاف و تضارب الروايات فيما بينها.

و أخير نشكر كل من ساعدنا من قريب أو بعيد في انجاز هذا الموضوع.

المبحث الأول : الشعوبية أصولها وتطورها

المطلب الأول: ـ تعريفها

المطلب الثاني: ـ ظهورها و تطورها

المطلب الثالث:ـ أهدافها و مظاهرها

المبحث الأول: الشعوبية أصولها و تطورها

1/ تعريفها

اهتم المؤرخون و الكتاب القدامى و المحدثون بالحركة الشعوبية، لما لهذه الحركة الهدامة من أهداف و غايات تسعى من وراءها إلى عرقلة مسار التاريخ الإسلامي و جهد الأمة الحضاري، إذ سعت بكل ما تملك من قوة إلى تشويه تراث العرب و التحقير بهم و حط من شأنهم و الطعن في الإسلام و العمل على إحياء أمجاد العجم، فكان لهذه الحركة دور تخريبي كبير.

أ/ الشعوبية في اللغة

الشعوبية لفظ مأخوذ من الشعوب: جمع شعب و هو جيل من الناس، و هو أوسع من القبيلة و أشمل[1]، و ذهب البعض إلى القول بأنها مأخوذة من قوله تعال: (يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر و أنثى و جعناكم شعوبا و قبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير)[2]، و قالوا إن المراد بالشعوب بطون العجم و بالقبائل قبائل العرب[3].

([1]) سليمان بن صالح الخراشي، الشعوبية عند الشيعة الفرس، ط1 ، دار المنتقي، د ب ن، 1430هـ / 2009م، ص7 ـ 8

([2]) الحجرات، الآية 13

([3]) أمينة البيطار، تاريخ العصر العباسي، ط4، منشورات جامعة دمشق، دمشق ـ سوريا، 1996 م، ص 154

و يعرفها آخر بقوله: (الشعوبي بالضم محتقر أمر العرب)[1]، و جاء في لسان العرب: (و قد غلبت الشعوب بلفظ الجمع على الجيل حتى قيل لمحقري العرب شعوبي، أضافوا إلى الجمع لغلبته على الجيل كقولهم أنصاري، و الشعوب فرقة لا تفضل العرب على العجم، و الشعوبي الذي يصغر شأن العرب و لا يرى لهم فضلا على غيرهم)[2].

ب/ الشعوبية اصطلاحا

أما مدلولها الاصطلاحي فقد أختلف فيه، إذ أشار الجاحظ (ت255هـ) إلى أن الشعوبية: (هي كل من تعصب للعجمية)[3]، ويقول صاحب العقد الفريد (ت328هـ): (الشعوبية هم أهل التسوية)[4]، أما السامرائي فيقول: (هي مجموعة لهذه المواقف التي تقوم على العداء و التحدي، و التي كان يثيرها الوعي فتراها منظمة تسلك سبيلا مدروسا)[5] ، و تقول أمينة البيطار: (هي تيار فكري و اجتماعي و سياسي يمثل المواقف التي ضمتها الدولة العربية الإسلامية من بعضها البعض)[6].

(1) الزبيدي (محمد المرتضي)، تاج العروس، ج 10، د ط، دار الصادر، بيروت . لبنان، 1966 م، ص 321

(2) ابن المنظور (أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم) لسان العرب، مج1، دط، دار الصادر، بيروت . لبنان، 1955 م، ص 500

(3) الجاحظ (أبي عثمان عمرو بن بحر)، البيان و التبيين، تح، عبد السلام محمد هارون، ط7، مكتبة الخانجي، القاهرة . مصر، 1998 م، ص 12

(4) ابن عبد ربه الأندلسي (أحمد بن محمد)، العقد الفريد، تح عبد المجيد الترجيني، ج 3 ، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان، 1983 م، ص 351

(5) عبد الله السلوم السامرائي، الشعوبية حركة مضادة للإسلام و أمة العربية، د ط، د ب ن، د س ن، ص 37

(6) أمينة البيطار، المرجع السابق، ص 154

أما عبد العزيز الدوري فيقول: (إن لفظ الشعوبية شديد التعقيد...إذ هي تتظاهر بالإسلام و تعمل على هدم السلطان العربي أو على هدم الإسلام أو الاتجاهات التي تحاول نسف الإسلام و العرب من الداخل، هي التي يمكن أن نطلق عليها اسم الشعوبية)[1] ، و يقول آخر: (قوم متعصبون على العرب يفضلون عليهم العجم)[2].

و عن حقيقة الشعوبية يقول الجاحظ:(و اعلم أنك لم ترقط أشقى من هؤلاء الشعوبية و لا أعدى على دينه، ولا و أشد استهلاكا لعرضه، و لا أطول نصبا و لا أقل غنما من أهل هذه النحلة، و قد شفى الصدور، فهم طول جثوم الحسد على أكابرهم، و توقد نار الشنآن في قلوبهم و غليان تلك المراحل الغابرة و تسعر تلك النيران المضطرمة)[3]، و يقول في كتاب الحيوان: (إن عامة من ارتاب عن الإسلام إنما جاءه ذلك عن طريق الشعوبية، فإذا أبغض شيأ أبغض أهله، و إذا أبغض تلك اللغة أبغض تلك الجزيرة، فلا تزال تلك الحالات تنتقل به حتى ينسلخ من الإسلام إذا كانت العرب هي التي جاءت به)[4].

أما الزمخشري (ت538هـ) فيقول: (و لعل الذين يغضبون من العربية و يضعون من قدرها و يريدون أن يخفضوا ما رفعه الله من منارها، حيث لم يجعل خير رسله و خير كتبه في عجم خلقه و

([1]) عبد العزيز الدوري، الجذور التاريخية للشعوبية، د ط، دار الطليعة، بيروت ـ لبنان، د س ن، ص 11

([2]) محمد كرد علي، الإسلام و الحضارة العربية، د ط، دار الكتب العربية، القاهرة ـ مصر، 1934م، ص 34

([3]) الجاحظ، البيان و التبيين، المصدر السابق، ص 29 ـ 30

([4]) الجاحظ، الحيوان، تح عبد سلام هارون، ج7، مطبعة البابي الحلبي، مصر، 1968 م، ص 220

لكن في عربه، لا يبعدون عن الشعوبية منا بذة للحق إلا بلج و زيفا عن سوء المنهج، والذي يقضي منه العجب حال هؤلاء في قلة انصافهم و فرط جورهم و اعتسافهم)[1].

و يمكن القول أن الشعوبية حركة فكرية و اجتماعية و ثقافية ذات مضامين عرقية ودينية تبنتها جماعات من العجم، هدفها ضرب الكيان العربي في ثقافته و ارثه الحضاري و تشكيك في تاريخ العرب، نظير الفخر و الاعتزاز بالإرث الحضاري الأعجمي و العمل على تحقيق أهداف سياسية[2].

و هذه الحركة نشطت بين فئات العجم و خاصة الفرس الذين لم يتقبلوا فكرة انهيار كيانهم السياسي و اضمحلال منظومتهم الثقافية و العقائدية أمام انتشار الإسلام و مده الحضاري، فتغلب على هؤلاء التعصب العنصري فأعمى بصيرتهم، فتظاهر البعض منهم بالدحول في الإسلام، و انطلقوا تحت غطائه ساعين إلى تشويه كل ما جاء به العرب طاعنين في ماضيهم و حضارتهم و أمجادهم، و لما كان الإسلام أعظم ما حمله العرب إلى الإنسانية، فقد استهدفوه بوسائل خبيثة لتشويه مبادئه السامية و القضاء على السيادة العربية، و العمل على احياء الثقافات العجمية و احاطتها بهالة من و المجد[3].

([1]) الزمخشري (أبو القاسم محمود)، المفضل في النحو، د ط، مطبعة التقدم، مصر، د س ن، ص2 ـ 3

([2]) صالح رمضان حسن، النهج الشعوبي عند البرامكة، مجلة الأبحاث، كلية التربية الأساسية، مج 9، العدد 4، الموصل . العراق، 2010 م، ص 333

([3])نفسه، ص 334

2/ عوامل ظهورها و تطورها

الشعوبية من أخطر الحركات التي ظهرت في التاريخ الإسلامي لما لها من أهداف و غايات خبيثة تحركها نوازع القومية الاستقلالية و العصبية القبلية و حقد غير العرب على الإسلام و العروبة، ساعين بكل الوسائل إلى هدم الكيان الذي بناه الإسلام، لذلك كان ظهور هذه الحركة كردة فعل من قبل الشعوب التي دخلت في بوتقة الإسلام تعبيرا على رفضها لهذا الكيان الجديد و حنينها للعودة إلى ماضيها و احياء أمجادها التي قضى عليها الإسلام.

أ/ ظهورها

ترجع البدايات الأولى لهذه الحركة الخطيرة إلى منتصف الثاني من القرن الأول للهجرة و استمرت طوال الحكم الأموي، وكان مركزها في العراق، حيث كان تحمل روحا اسلامية دعت من خلالها إلى المساواة، ثم ما لبثت أن أظهرت حقيقة أهدافها في العصر العباسي الأول بعد أن استعان العباسيون بالفرس للإطاحة بالأمويين[1]، مما أدى إلى تمكنهم من الدولة و استخدموهم في مراكز حساسة كالوزارة و الحجابة و أعطوهم الحرية، فاستفحل نفوذهم و غلبت عليهم النزعة القومية و تحولت إلى

([1]) عبد العزيز الدوري، المرجع السابق، ص 9

ما يشبه المنظمات مدعومة من طرف الوزراء و الأدباء، و بدت بشكل واضح في عهد الخليفتين الرشيد[1] و المأمون[2] العباسيين[3].

ب/ عوامل ظهورها

إن ظهور أي حركة لابد أن يكون له عدة أسباب و عومل، لذلك فحركة الشعوبية لها عدة عوامل أدت إلى قيامها و ظهورها، فهي وليدة عدة عوامل تفاعلت فيما بينها و نتجت عنها هذه الحركة الهدامة التي سعت إلى تشويه الإسلام و النيل منه و الحط من شأن العرب و تشويه ماضيهم، و أهم تلك العوامل ما يلي:

1 ـ العامل الاقتصادي: كان الأمويون يطالبون الموالي بدفع الجزية، وكان الحصول عليها في بعض الأحيان بأساليب غير صحيحة و يتعسفون في أخذها منهم، و من الأمثلة على ذلك ما فعله الحجاج[4] بالمولي و أهل الذمة بالبصرة بعد أن ثاروا عليه و انتقل نفر منهم من القري و نزلوا بالمدن،

([1]) **الرشيد:** هو أبو جعفر هارون بن المهدي محمد بن عبد الله بن علي بن عبد الله بن العباس، و لد سنة 148هـ، بويع بالخلافة سنة 170هـ توفي و في عمره 45 سنة و مدة حكمه 23 سنة. أنظر: ابن العمراني (محمد بن علي بن محمد) ، الأنباء في تاريخ الخلفاء، تح قاسم السامرائي، ط 1، دار الآفاق العربية، القاهرة. مصر، 1999م، ص 75

([2]) **المأمون:** هو أبو العباس عبد الله بن هارون الرشيد أمه جارية فارسية تدعا مراجل، ولد سنة 170هـ و بويع بالخلافة سنة 198هـ و توفي سنة 218هـ و مدة حكمه 20 سنة. نفسه، ص 96

([3]) أمينة البيطار، المرجع السابق، ص 156

([4]) **الحجاج:** أبو محمد بن يوسف بن الحكم بن أبي عقيل الثقافي، عامل الأمويين على العراق بداية من عهد عبد المبك بن مروان، عرف ببطشه و شدته و ظلمه و تجبره، توفي سنة 95هـ بمرض الأكلة. أنظر: ابن خلكان (أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر)، وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان، ج 6، تح إحسان عباس، د ط، دار الصادر، بيروت ـ لبنان، 1978، ص 219

مما أدى إلى نقص الخراج، فأمرهم بالرجوع على قرارهم، ونقش على يد كل واحد منهم اسم البلدة التي وجهه اليها، كما أنه لم يسقط الجزية على من أسلم منهم، حيث أن عشرين ألفا من أهل الذمة الذين أسلموا كان يأخذ منهم الجزية[1].

و أيضا عانى اهل خراسان و سمرقند من الجزية التي كانت تفرض عليهم رغم إسلامهم، فمثلا في سمرقند دعا عامل الأمويين بها أهلها إلى الإسلام مقابل أن يرفع عنهم الجزية، فأجابوا دعوته و أسلموا فلم يضعها عنهم و عزم على جمعها منهم، مما أدى إلى امتناعهم و محاربته، و هناك أمثلة كثيرة تدل على ذلك و التي تظهر عصبية الأمويين اتجاه الموالي و احتقارهم رغم أن ذلك كان منافيا لتعاليم الإسلام مما جعل الموالي و خاصة الفرس ينقمون على الحكم الأموي و يسعون إلى القضاء عليه حيث نجدهم يساندون كل ثورة قامت ضد الأمويين[2].

2 ـ العامل الاجتماعي: تمثل في استعلاء العرب على الموالي، إذ كان العرب يفتخرون بأحسابهم و أنسابهم و يعتقدون أنهم أمة ليس كغيرها من الأمم و جنسهم أرقى جنس، هذا بسب نصرهم العظيم الذي حققوه ضد الفرس و الروم، فتملكهم شعور السيادة و العظمة، فنظروا إلى الشعوب المهزومة نظرة السيد إلى المسود، و وصل بهم الأمر إلى أن كانوا لا يكنون الموالي بالكنى و لايمشون في الصف معهم و لا يقدمونهم في المواكب، و إذا حظروا طعاما فيه المولي قاموا على رؤوسهم تعبيرا على احتقارهم لهم، و قالوا لايقطع الصلاة إلا ثلاثة: حمار أو كلب أو مولى، وإذا مات أحد من الموالي:

([1]) حسين عطوان، الزندقة و الشعوبية في العصر العباسي الأول، د ط، دار الجيل، بيروت ـ لبنان، د س ن، ص 153

([2]) نفسه، ص 153

قالوا مال الله يأخذ ما يشاء و يدع ما يشاء، و كان إذا خطب أحد امرأة منهم من أبها أو أخوها دون إذن سيدها بطل النكاح و إن كان دخل بها، وكانوا لا يزوجون الموالي من العربيات الحرائر و إن حصل فرقوا بينهم[1].

كما أنهم كانوا لا يصلون خلفهم و لا يدخلون مساجدهم و لا يسمح لهم بالصلاة على الجنائز إذا حضر بعض العرب، و كان إذا دخل إلى السوق عربي معه شيء و رأى أحدا من الموالي دفعه اليه ليحمله عنه، حتى أنهم احتقروا المولودين من أب عربي و أمهاتهم من الموالي و سموهم الهجناء تمييزا لهم، بل و تمادوا في احتقارهم حتى رفضوا أن يرثوا كما يرث العرب الصرحاء، و لكن في الحقيقة هذا لم يشمل جميع العرب بل البعض منهم الذين كانوا شديدي التعصب للعرب، و حملوا في صدورهم نار الحقد و الكراهية للموالي[2].

3 ـ العامل السياسي: لقد عمل الأمويون على نبذ الموالي و اقصائهم من المناصب الحساسة في الدولة بسبب عصبيتهم للعرب و سخطهم على الموالي حيث اقتصرت المناصب الحساسة في الدولة على العرب فقط، فكان يجب اختيار الوالي أو القاضي أو الإمام من العرب، و فإذا خرجوا عن هذه القاعدة ثار عليهم العرب و لم يقبلوا به، كما منع الموالي من الانضمام إلى الجيش النظامي لأنه كان

(1) حسين عطوان، المرجع السابق، ص 151 ـ 152

(2) نفسه، ص 152

مؤسسا على أساس قبلي، فكانوا لا يقبلون في الجيش إلا متطوعين يستعينون بهم عند الحاجة، و لا يفرضون لهم عطاء ثابتا كما يفرضونه للمقاتلين العرب[1].

4 ـ العامل الديني: إن ظهور الإسلام أدى إلى حدوث صدام بين مبدأ التوحيد الإسلامي و الثنوية الإيرانية، فخلف ذلك منازعات بين العرب و الموالي أدت إلى ظهور الشعوبية كحركة مضادة للإسلام و الأمة العربية، فقد كان لديانات الفارسية القديمة كالمزدكية[2] و الزرادشتية[3] و خاصة المانوية[4] التي استطاعت استقطاب عدد كبير من الفرس، أثر كبير في اثارة الوعي لدى الشعب الفارسي الذي و قف موقف المتحدي للإسلام و الدولة العربية، مما أوجد روح الشعوبية في الشعب الفارسي، و إن هذه الديانات مثلت الذات الفارسية المجوسية[5].

و إن القرآن الكريم حارب الشرك، حيث نزلت آيات كثيرة معللة صحة التوحيد و نافية لشرك حيث يقول الله تعالى في كتابه الكريم: (إن الله لا يغفر أن يشرك به و يغفر ما دون ذلك لمن يشاء)[6] و قوله تعالى:(لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا)[7]، فهذه الآيات تحذر من الشرك و تكشف أهمية

([1]) حسين عطوان، المرجع السابق، ص 152

([2]) **المزدكية:** نسبة إلى مزدك الذي ظهر في أواخر القرن الخامس ميلادي، وهي ديانة فارسية تؤمن بالعقائد الثنوية. أنظر السامرائي، المرجع السابق، ص 20

([3]) **الزرادشتية:** نسبة إلى زرادشت الذي ظهر في بلاد فارس و أسس ديانة الزرادشتية و له كتاب يسمى (أفستا). أنظر: أحمد علي عجيبة، دراسات في الديانات الوثنية القديمة، ط 1، دار الآفاق العربية، القاهرة ـ مصر، 2004م، ص 112

([4]) **المانوية:** هي ديانة فارسية نسبة إلى ماني الذي و ضع أساسها، و هي ترتكز على العقيدة الثنوية و الحلول و التناسخ. أنظر: السامرائي، المرجع السابق، ص 17 ـ 18

([5]) نفسه، ص 22 ـ 23

([6]) النساء، الآية 116

([7]) الأنبياء، الآية 22

التوحيد في الإسلام، و هذا أدى إلى اصطدام التوحيد بالشرك منذ مبعث الرسول صلى الله عليه و سلم،و استمر هذا الصدام طوال التاريخ الإسلامي[1].

إن هذه الأسباب التي أدت إلى تمرد الموالي الفرس على العرب لم تكن دوافع حقيقية، بل إن السبب الدفين وراءها هو العصبية القبلية و النزعة القومية الاستقلالية التي تأصلت و انطبعت في نفوسهم، فمن الناحية الاجتماعية فإن افتخار العرب بأنسابهم كان بسبب تأثرهم بالقيم و المفاهيم الجاهلية، و إذا كان العرب يحتقرون الموالي فهذا لم يشمل جميع العرب بل اقتصر على البدو و أشراف القبائل و العمال بسبب احساسهم بالثقة و التفوق و تمكن الروح الأعرابية منهم، و إن الوالي كانوا أصنافا متعددة فمنهم السبي و الأسرى وهم قلة استرقوا ثم أعتقوا، و المجتمع العربي كان يتألف من قبائل لها دور كبير في الحياة الاجتماعية، فانتسب الموالي اليها باحثين على حلف يضمن لهم مكانة في المخطط الاجتماعي و يمنحهم الحماية، فهذا الحلف رغم عدم تكافئه فهو لا يحمل أي نوع من الاحتقار و المهانة، و الموالي كان منهم الكتاب و التجار و أصحاب المنزلة الرفيعة و النفوذ الواسع، و أيضا منهم العالم الذي يحظى بمكانة مرموقة في المجتمع، ومنهم الحرفيون و الفلاحون الذين كانوا في مرتبة اجتماعية متواضعة[2].

أما من الناحية السياسية رغم أن الأمويين أبعدوا الموالي من المناصب العليا في الدولة و مخالفتهم لروح الإسلام، فهذا طبيعي نظرا لظروف العرب السياسية و الفكرية، لاكنهم أخذوا منهم في الميادين

(1) السامرائي، المرجع السابق، ص 24 ـ 25

(2) حسين عطوان، المرجع السابق، ص 153 ـ 155

الأخرى المختلفة، فالموالي أشرفوا على ديوان الخراج و ديوان الرسائل و الخاتم و قاموا بالحراسة و الحجابة[1].

و من الناحية الإقتصادية فرض الجزية على الموالي المسلمين من طرف بعض الولاة لم يتخذ كقاعدة، لأنه كان بسبب الأزمة المالية في منتصف العصر الأموي، أما الضرائب فالأمويون لم يتجاوزوا الضرائب المعروفة، و إن اقتصار العطاء على العرب ذلك بسبب كونهم يمثلون الجيش النظامي، أما الموالي كانوا متطوعين فقط لذلك كانوا ينالون حظا من الغنائم فقط[2].

ج/ مراحل ظهورها

إن الشعوبية كحركة سياسية و ثقافية و دينية مرت في ظهورها بعدة مراحل، و ذلك يرجع لعدة أسباب لعل منها عصبية الأمويين اتجاه الموالي و عدم السماح لهم بتقلد مناصب حساسة في الدولة، و قمعهم لأي حركة ثارت ضدهم، أما في العصر العباسي يرجع ذلك إلى انفتاح الدولة العباسية على الأجناس غير العربية و السماح لهم بالوصول إلى السلطة و الاعتماد عليهم في تسيير الدولة ، و يمكن تقسيم ظهور و تطور هذه الحركة إلى مرحلتين.

المرحلة الأولى: هي التي ذهب فيها الشعوبيون إلى المناداة بالمساواة و قالوا أن العرب ليسوا أفضل من غيرهم، فالناس كلهم من طينة واحدة و التفاضل بينهم ليس بآبائهم و أنسابهم بل بأفعالهم و أخلاقهم، و وقف هؤلاء موقفا وسطا بين الأمم فلا عربي أفضل من عجمي لأنه عربي و لا أعجمي

(1) حسين عطوان، المرجع السابق، ص 155 ـ 156

(2) نفسه، ص 156 ـ 157

أفضل من عربي لأنه أعجمي، وليست العروبة و الأعجمية عاملا من عوامل التفضيل بل الدين وحده هو عامل التفضيل عند قوم و شرف و سمو الأخلاق عند آخرين، و جاء في الحديث النبوي: (ليس لعربي على عجمي فضل إلا بالتقوى)، و يقول الخليفة المأمون: (الشرف نسب: فشريف العرب أولى بشريف العجم من وضيع العجم بشريفهم، وشريف العجم أولى بشريف العرب من وضيع العرب بشريفهم)[1].

و حجة هؤلاء أن لكل أمة محاسنها و مساوئها، و خير ما توزن به الأعمال هو ميزان الدين أو الأخلاق، و هؤلاء سموا بأهل التسوية، أي الذين يسوون بين الأمم و لا يجعلون فضلا لأمة على أخرى، و قد أيد هذا التيار الكثير من المتدينين العرب و العجم لأن الإسلام و قواعده تؤيد هذا المذهب، هذا لأن العرب كانوا متغلبين في العصر الأموي، أي أن الموالي كانوا يقولون بالمساواة فقط و أمنيتهم أن يظفروا بذلك[2].

المرحلة الثانية: في هذه المرحلة ذهبت الشعوبية إلى القول أن العرب ليست لهم أي ميزة يفتخرون بها في حين أن لكل الأمم مميزات يفتخرون بها، فالرومان يفتخرون بعظم سلطانهم و مدنهم، و الهنود يفتخرون بحكمتهم و طبهم و الصين تباهي بصناعاتها و فنونها الجميلة، و ليس للعرب مثل ذلك فالأرض جدباء و بداوة في العيش، و كانوا يقتلون أولادهم و يعيشون على النهب و السلب، و يملؤون الدنيا شعرا و نثرا على مكرمة صغيرة فعلوها، و أن العرب إذا افتخروا بالإسلام فالإسلام ليس

(1) أحمد أمين، ضحى الإسلام، ج 1، د ط، هيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، د س ن، ص 70.
(2) نفسه، ص 71

دين العرب وحدهم بل هو دين الناس كافة، وهم أضعف الأمم في الصناعة، و يندرج هذا الصنف ضمن من يحتقرون العرب و يحطون من شأنهم و يحرضون الأمم عليهم[1].

و قد تبنى هذا التيار الكثير من العجم كالفرس و الأتراك و غيرهم ممن ظلوا على دينهم القديم أو أسلموا و لم يدخل الإيمان في قلوبهم، و ظهر هذا التيار للعلن بعد قيام الدولة العباسية حين شعروا بمكانتهم و قوة سلطانهم خاصة و أن الخلفاء العباسيون تعصبوا للإسلام لا للعروبة، وبدت بشكل واضح أيام الرشيد و المأمون[2].

(1) أحمد أمين، المرجع السابق، ص 72 ـ 73

(2) أمينة البيطار، المرجع السابق، ص 155 ـ 156

3/أهدافها و مظاهرها

أ/ أهداف الشعوبية

باعتبار أن لكل حركة أهداف و غايات تسعى إلى تحقيقها، فالشعوبية من بين هذه الحركات التي كانت لها أهداف و غايات خطيرة تسعى إلى تحقيقها على حساب الإسلام و العروبة، فهي وليدة حقد بعض الشعوب التي لم ترضى بالإسلام كدين جديد حل محل دياناتها القديمة، ولا بسلطان العرب الذي جاء كنتيجة لتوسع العرب على حساب الشعوب المجاورة لشبه الجزيرة العربية، فلهذا سعى أصحاب هذا الفكر الشعوبي العنصري بكل الوسائل و الطرق إلي تحقيق أهدافهم الرامية إلى القضاء على الإسلام و سلطان العرب.

1 ـ الأهداف السياسية

سعت هذه الحركة إلى إزالة السلطان العربي، فالأجناس التي دخلت تحت حكم العرب و خاصة الفرس كان لهم حقد دفين ضد العرب، فهم لم يستوعبوا فكرة أن العرب يحكمونهم بعد أن أزالوا سلطانهم الذي امتد إلى قرون طويلة مما دفعهم إلى العمل على إزالة هذا الحكم من الوجود، و في سبيل هذا انضموا إلى الثورات التي قامت ضد الحكم الأموي مثل ثورات الخوارج و ثورات الشيعة[1].

([1]) السيد عبد العزيز سالم، دراسات في تاريخ العرب العصر العباسي الأول، ج 3، د ط، مؤسسة شباب الجامعة، اسكندرية ـ مصر، 1993م، ص 124

و إن اشتراكهم في الثورة العباسية دليل قاطع على سعيهم وراء ازالة الحكم العربي، حيث ظهر منهم زعيم قوي و هو أبو مسلم الخراساني الذي نظم صفوفهم و وحد شملهم و ألف منهم حزبا له تأثير في سياسة الدولة، و بعد نجاح الثورة العباسية و القضاء على الحكم الأموي يكون الفرس فد حققوا غايتهم في ازالة السلطان العربي المتعصب للعروبة[1].

و بعد قيام الدولة العباسية تقلد الفرس مناصب هامة في الدولة ، فكان منهم الوزير و الحاجب، و نتيجة لهدا النفود سعو الى استعادة مجدهم القديم، إذ دخلهم شعور جديد بأنهم أفضل بكثير من العرب و أن تاريخهم يؤكد امتيازهم كشعب و جنس ، مما دعا إلى ازالة السلطان العربي من بلادهم[2].

2 ـ الأهداف الدينية

عملت هذه الحركة على تشويه مبادئ الإسلام و هدمها من الداخل من خلال احيائها للمعتقدات الفارسية القديمة، حيث سعو إلى نشر ديانتهم القديمة المتسترة وراء الإسلام و المتظاهرة بالرجوع إلى العقل في تفسير القرآن ليخفوا حقيقتهم و يبثوا أراءهم و معتقداتهم، و ذلك بتفسير القرآن تفسيرات تدل على مفاهيم دياناتهم القديمة، فهم يرون في هدم الإسلام السبيل إلى تحقيق أهدافهم و غاياتهم[3].

(1) السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 125
(2) نفسه، ص 126
(3) السامرائي، المرجع السابق، ص 49 ـ 51

3 ـ الأهداف الثقافية

عملت هذه الحركة على احياء الثقافات القديمة للشعوب غير العربية و خاصة الفرس، حيث لعب الأدباء و الشعراء دورا كبيرا و خطيرا و ذلك من خلال ترجمتهم للعديد من كتب الأدب الفارسي القديم إلى العربية و التي اختاروا منها ما يسهل فهمه من طرف العامة لتذكيرهم بأمجادهم و آبائهم التي ينبغي لهم أن يفتخروا بها لتنمية الشعور القومي لديهم، كما قاموا بتأليف الكتب في مثالب العرب لتحقير بهم و الحط من شأنهم، و عمد الشعراء إلى الاعتزاز بأنسابهم و كتابة القصائد الطويلة في ذلك[1].

و كان لأسرة البرامكة[2] دور كبير في دعم هذا التوجه حيث بذلوا المكافآت للكتاب و المترجمين، و عملوا على توجيه الحياة و جهة خاصة و أعانهم على ذلك العديد من الشعراء و الرواة الذين تفصح أعمالهم على أهداف الشعوبيين الفرس، و مما يؤكد هذا التوجه هو قيام الدول المستقلة فيما بعد و التي سعى الفرس إلى تأسيسها و الاستقلال بالحكم في الأراضي الفارسية[3].

و سلكت هذه الحركة جميع الطرق و الوسائل لتحقيق أهدافها، فعملوا على الطعن في العرب و الحط من شأنهم، فقد نقضوا كل خصائصهم و محاسنهم في الجاهلية، و زعموا أن أنسابهم و أصولهم و دمائهم قد تداخلت و اختلطت لعدم التزامهم بعقد النكاح فكان ينكح بعضهم نساء

([1]) عبد العزيز الدوري، المرجع السابق، ص 51

([2]) **البرامكة**: من برمك و هو الذي يعمر بيت النار، و كان برمك من مجوس بلخ، و كان عظيم القدر عندهم، أنظر: الإتليدي (محمد دياب)، اعلام الناس بما وقع للبرامكة مع بني العباس، د ط، دار الصادر، بيروت ـ لبنان، د س ن، ص 237

([3]) عبد العزيز الدوري، المرجع السابق، ص 37

بعض، و أنكروا صفاتهم الكريمة مدعين أنهم اتصفوا بالبخل و الدناءة و الجبن و العجز، كما عابوا بديهتهم و فصاحة خطبهم و استهزأوا بآلاتهم و أساليب الحرب عندهم و عابوا مطاعمهم و مآكلهم، و عملوا على تأليف الكتب في مثالب العرب و رموهم بكل ما هو قبيح، كما اختلقوا القصص و الأخبار و نسبوها للعرب في الجاهلية لتشويه تاريخهم، و عبثوا بالشعر الجاهلي حتى لا يكون للعرب أدب موثوق به[1].

بل ذهب الشعوبيون إلى أكثر من ذلك حيث طعنوا في تاريخ العرب الإسلامي مدعين أنهم ليسوا أصل الإسلام و لا أهله، و مجدوا الفرس و نسبوا لأنفسهم كل كرامة، فهم أبناء الملوك و الأمراء و قالوا أن بني الأحرار هم العجم و بنو اللخناء هم العرب، و هم أصحاب البأس و النخوة و أهل البيان و الكلام المطرب بل و أصحاب الأسلحة الراقية، و هم الملوك و الدول و المدائن و أصحاب الفن و الصناعة و الأدب، و ألفوا الكثير من الكتب في مناقب الفرس و تاريخهم و قارنوا بينهم و بين العرب مزيفين التاريخ و مدعين أحاديث كثيرة في فضل الفرس نسبوها إلى الصحابة و التابعين و استغلوا فيها الصحابي الجليل سلمان الفارسي[2] استغلالا كبيرا و اتخذوه وسيلة لإثبات عظمتهم و فضلهم على العرب المسلمين[3].

([1]) حسين عطوان، المرجع السابق، ص 158 ـ 160

([2]) **سلمان الفارسي**: هو أبو عبد الله عرف بسلمان الخير، أصله من فارس أسلم و الرسول صلى الله عليه و سلم في المدينة، و كان من خيار الصحابة زهدا و فضلا. أنظر: الجزري (عز الدين بن الأثير أبي الحسن علي بن محمد)، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج2، د ط، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، د س ن، ص 510

([3]) حسين عطوان، المرجع السابق، ص 161 ـ 164

ب/ مظاهر الشعوبية

تجلت حركة الشعوبية في كثير من المظاهر التي كانت تعبر عن أفكارها و أهدافها الهدامة و تتستر بها، حيث نشطت في جميع الميادين دينيا و سياسيا و ثقافيا بهدف ضرب الإسلام و العروبة في الصميم و القضاء عليها، فهي كانت حركة منظمة و محددة الأهداف و ميادين النشاط.

1 ـ دينيا

اشتمل على حركتين أساسيتين و هما الغلو و الزندقة و اللتين تظاهرتا بالإسلام لتتستر على نشاطها المضاد للعرب و الإسلام،

أ/ **الغلو**: و هو تجاوز الحد في الدين، و الغلاة هم الذين غلو في حق أئمتهم حتى أخرجوهم من حدود الخلق و حكموا فيهم بحكم الآلهة، و يعتبر ابن سبأ أول الغلاة حيث قال أن عليا هو رب العالمين، و ظهر في زمن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، و تعتبر السبئية[1] أول فرقة ابتدأت الغلو، و كان للمعتقدات الهندية القديمة أثر في آراء الغلاة كفكرة التناسخ، كما استغلت هذه الفرق بعض آيات القرآن و فسرتها تفسيرا يدعم آراءها و طعنت في مبدأ التوحيد المبدأ الأساسي في الإسلام و قللت من شأن النبوة و الإمامة و أنكرت الفرائض و أباحت المحرمات من أجل هدم المجتمع لتسهيل

([1]) **السبئية**: أتباع عبد الله بن سبأ الذي غلا في علي حتى قال أنه نبي ثم قال أنه إله. أنظر: البغدادي (عبد القاهر بن طاهر بن محمد)، الفرق بين الفرق، د ط، مطبعة المدني، القاهرة. مصر، د س ن، ص 205

هدم الإسلام، فكانوا يبيحون المحرمات و يعيشون عيش من لا تكليف عليه، كما طعنوا في الصحابة و شوهوا تاريخهم[1].

و أيضا من أرائهم القول بالبداء و البدء و الذي يعني تغيير الإرادة الإلهية لقرار قد قدر قبلا، و ذلك لطعن في ذات الله و قدرته و فسح المجال لادعاء النبوة، كما أستعمل هذا المبدأ لتبرير التلون السياسي و التقلب في المذاهب[2].

و من مبادئ الغلاة أيضا مبدأ التأويل الذي طبقوه على القرآن الكريم و قالوا أن القرآن له ظاهر و باطن و تنزيل و تأويل فأولوا القرآن و فقا لأغراضهم، فهذا يبين أن الغلاة استغلوا التأويل لمقاومة الإسلام و هدم مبادئه، كما قسموا القرآن الكريم إلى ظاهر و باطن و جعلوا الظاهر معجزة الرسول و الباطن من معجزة الأئمة، فهذا المبدأ يعتبر أخطر وسيلة استغلها الغلاة للهجوم على الإسلام و هدم مقوماته من الداخل[3].

ب/ الزندقة: هي لفظ فارسي معرب و هي مظهر من مظاهر الشعوبية الدينية، و أطلق هذا اللفظ على معاني عدة مختلفة تدخل معظمها في إطار الحركة الشعوبية، و لفظ الزندقة أطلق في الفترة الأموية على القائلين بخلق القرآن الكريم و ناكرين لبعض آياته و المدعين الربوبية، و قويت هذه الحركة في العصر العباسي الأول و استفحل أمرها حيث تظاهروا بمظاهر عدة و سلكوا أساليب مختلفة لتستر على حركتهم كما أطلق هذا اللفظ على كل من يتخذ عقائد المانوية شعارا له و من يبطن الكفر

(1) السامرائي، مرجع سابق، ص 47 ـ 50
(2) نفسه، ص 52
(3) نفسه، ص 53

و يظهر الإيمان، و على كل من يتأثر بعاداتهم و اسرافهم و مجونهم[1].

ولقد عمل الخلفاء العباسيون على محاربتها بشدة و على رأسهم الخليفة المهدي[2] الذي لاحق الزنادقة و قام بإنشاء ديوان خاص للبحث عن الزنادقة، اضافة إلى انشاء هيأة علمية لمناظرتهم و تأليف الكتب لرد عليهم[3].

و تتبعهم في كل مكان و أمر بقتلهم، و أوصى ابنه الهادي[4] بمحاربة هذه الحركة و العمل على القضاء عليها، فسار الهادي على نهج أبيه فتتبع هذه الحركة و عمال عى القضاء عليها و قتل خلقا كبيرا من أتباعها، و لما تولى هارون الرشيد الخلافة سار على نهج سابقيه و استمر في قتل الزنادقة و تتبعهم، و رغم الجهود المبذولة من طرف الخلفاء إلا أن هذه الحركة لم يتم القضاء عليها نهائيا و بقيت مستمرة[5].

([1]) أمينة البيطار، المرجع السابق، ص 157

([2]) **المهدي**:هو أبو عبد الله المهدي بن جعفر المنصور بن محمد بن على، بويع بالخلافة سنة 158هـ، كان طويلا أسمرا تعلوه سمرة، توفي سنة 168هـ، أنظر: ابن العمراني، المصدر السابق، ص 69

([3]) أمينة البيطار، المرجع السابق، ص 157 ـ 158

([4]) **الهادي**: هو موسى بن محمد الهادي بن جعفر المنصور، تولى الخلافة سنة 169هـ و توفي سنة 170هـ و هو يحارب أهل طبرستان. أنظر: ابن العمراني، المصدر السابق، ص 73

([5]) أمينة البيطار، المرجع السابق، ص 160 ـ 161

2 ـ ثقافيا

اعتمدت الشعوبية على وسيلتين لنشر أفكارها و كسب المزيد من الأتباع و احياء الثقافة الفارسية بغية نشرها في المجتمع و هما تصنيف الكتب و نظم الشعر.

أ/ **تصنيف الكتب**: عمل على تصنيف الكتب المتعلقة بالشعوبية طائفة من أهل العلم و ذو الأصول الفارسية و الذين كانوا شديدي العصبية على العرب و متحمسين لإعادة مجد الفرس و نذكر على سبيل المثال لا للحصر.

أبو عبيدة معمر بن المثنى(ت209 هـ):عاش في العصر العباسي الأول وهو من أصول فارسية كان شعوبيا ألف عدة في مثالب العرب منه كتاب مرج راهط و كتاب المناظرات و كتاب أدعياء العرب و كتاب نصوص العرب و كتاب فضائل الفرس، فهو كان معديا للعرب و مفتخرا بنسبه الفارسي و يعد من أبرز رموز الشعوبية، كما كان معجبا بالشاعر الشعوبي أبو نواس[1].

عبد الله بن المقفع(ت142 هـ): هو من أصل فارسي لعب دورا كبيرا في تنمية شعور الموالي بالذات و امتيازهم على العرب، ويتضح دوره من خلال ما قام بترجمته من التراث الفارسي إلى اللغة العربية بهدف تذكير الفرس الذين انقطعت صلتهم بتراثهم و أمجادهم و آبائهم التي لايوجد عند العرب ما يماثلها[2].

([1]) محمد بديع الشريف، الصراع بين الموالي و العرب، د ط، دار الكتاب العربي، مصر، 1959م، ص 41 ـ 42.

([2]) محمد مصطفى هدارة، اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني هجري، د ط، دار المعارف، القاهرة. مصر، 1963م، ص 399 ـ 400

سهل بن هارون(ت215هـ): فارسي الأصل شعوبي المذهب كان شاعرا حكيما له عدة مؤلفات و رسائل في مثالب العرب، و كان شديد العصبية على العرب حيث كتب رسائل في البخل اعتبر فيها الكرم رذيلة و البخل فضيلة ذلك لأن العرب عرفوا بالكرم و افتخروا به، أما الفرس فقد عرفوا بالبخل[1].

علان الشعوبي(ت210هـ): ذو أصول فارسية كتب للبرامكة كتاب الميدان في المثالب الذي احتقر فيه العرب و أظهر مثالبها، حيث يحتوي على مثالب قريش و صناعاتها و تجارتها، و كتب في مثالب جميع بطون قريش و معظم قبائل العرب[2].

فالشعوبية اعتمدت على تصنيف الكتب كأداة أساسية لنشر فكرها و لتحقيق أهدافها من خلال الكتب التي تعرضوا فيها إلى مثالب العرب و الطعن في أنسابهم و أخرى بينوا فيها مناقب العجم عامة و الفرس خاصة، كما ترجموا الكثير من التراث الفارسي إلى العربية لإحيائه و نقله للأجيال القادمة.

ب/ الشعر: كان الشعر من أهم الوسائل التي اعتمدت عليها الموالي للوصول إلى أهدافهم خاصة منهم من كان ذو أصول فارسية، حيث أستخدم لتنمية الشعور القومي لدى الموالي وذلك يدفعهم إلى احياء أمجادهم و العمل على استعادة استقلالهم، و لعل من أبرز الشعراء الشعوبيين نجد.

([1]) شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الأول، ط 8، دار المعارف، القاهرة . مصر، د س ن، ص 526 ـ 528

([2]) محمد بديع شريف، المرجع السابق، ص 44

بشار بن برد: و لد في البصرة[1] سنة 115هـ و أصله من طبرستان و كان شاعرا غزير الإنتاج و فطنا و ذكيا[2]، و أعتبر بشار المتحدث الرسمي باسم الشعوبيين في القرن الثاني للهجرة حيث كان شديد التعصب للعجم معتزا بأصله الفارسي الأعجمي، و يظهر هذا حينما سأله الخليفة المهدي قائلا: (فيمن تعتد يا بشار) فقال: (أما اللسان و الرأي فعربيان و أما الأصل فعجمي)[3]، و كانت أمه جارية رومية الأصل لهذا قال في شعره مفتخرا بنسبه الذي جمع بين الفرس و الروم:

هل من رسول مخبر عني جميع العرب

من كان حيا منهم و من ثوى في التراب

بأني ذو حسب عال على ذي حسب

جدي الذي أسموه كسرى و ساسان أبي

و قيصر خالي إذا عددت يوما نسبي[4]

فهو يفتخر في هذه الأبيات بأصله العجمي، و يؤكد دور الموالي في إقامة الحكم العباسي بقوله:

نحن جبنا الخيل من بلخ بغير الكذب

حتى رددنا الملك في أهل النبي العربي

نغضب لله و للأسـ لام أسرى الغضب[5]

([1]) **البصرة:** في كلام العرب الأرض الغليظة، و قيل البصرة حجارة رخوة فيها بياض، بينها و بين الدجلة أربع فراسخ، لها خليج بحري و بها ماء، بنيت أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه. أنظر: الحموي، المصدر السابق، ج 1، ص 130

([2]) عبد العون الروضان، موسوعة شعراء العصر العباسي، ج 1، ط 1، دار أسامة، عمان . الأردن، 2001م، ص 85

([3]) مصطفى الشكمة، الشعر و الشعراء في العصر العباسي، ط 6، دار العلم لملايين، بيروت . لبنان، 1986م، ص 123

([4]) محمد مصطفى هدارة، المرجع السابق، ص 409

([5]) نفسه، ص 410

كما كان يحقر من شأن العرب و يمجد الفرس و يفتخر بهم، و يظهر ذلك في القصيدة التي قال فيها لاحد من العرب:

تفاخر يا ابن الراعية و الراعي بني الأحرار حسبك من خسار

لعمر أبي لقد بدلنا عبثا بعبثك و الأمور إلى المجاري

و كنت إذا ظمئت إلى القداح شركت الكلب في ولغ الإطار[1]

و لعب بشار دورا خطيرا في هذه الحرب، وكان يعبر عن الفرس دائما بأنهم بنوا الأحرار و هي ترجمة للكلمة الفارسية أزاد مرد التي تعني الاستقرائية الإيرانية التي يفتخر بها أنصار الشعوبية[2].

أبو نواس: هو الحسن بن هاني ولد بالأهواز[3] سنة 143هـ من أب عربي و أم فارسية، درس اللغة و الشعر و الأدب و أجاد الشعر و ذاع صيته فيه، دخل بغداد عاصمة الخلافة العباسية و اتصل بالرشيد ثم الأمين[4]، وقد تغنى أبو نواس بأمجاد الفرس و حضارتهم و تباهى بمقام الأكاسرة و تراثهم و طعن في العرب و حط من شعرهم و من الأمثلة على ذلك قوله:

أرض تبنى بها كسرى دساكره فهل بها من بني الرعناء إنسان

و ما بها من هيثم العرب عرفجة و لا بها من غذاء العرب خطبان[5]

([1]) محمد مصطفى هدارة، المرجع السابق، ص 411

([2]) نفسه، ص 414

([3]) **الأهواز:** هو اسم عربي سميت به في الإسلام، تقع في ناحية بين البصرة و فارس بها عمارة و أودية و مياه و أنواع الثمار و السكر. أنظر: الحموي، المصدر السابق، ج 1، ص 285

([4]) عبد العون الروضان، المرجع السابق، 50

([5]) رشيد ناظم، الأدب العربي في العصر العباسي، د ط، دار الكتب لطباعة و النشر، الموصل. العراق، 1989م، ص60

كان أبو نواس يفضل العجم على العرب و يمدحهم و يذكر مناقبهم و آثارهم و يلبس لباسهم و يظهر لناس أنه منهم، فأبو نواس كان خاضعا لحزب الموالي و منفذا لسياستهم و مفاخرا بالعجم و ما بهم من سمو و جمال و محقرا للعرب و طريقة عيشهم الجافية الغليظة، حيث يقول في شعره:

إذا ما تميمي أتاك مفاخرا فقل عد عن ذا كيف أكلك للضب

تفاخر أبناء الملوك سفاهة و بولك يجري فوق ساقك و الكعب[1]

فهو من رؤوس الشعوبية البارزين، حيث قاد حملة شعرية ضد العرب يستهزئ بهم و يحط من شأنهم و يدعو عليهم بطول الحزن و البكاء على الأطلال في قوله:

عاج الشقي على دار يسائلها و عجبت أسأل عن خمارة البلد

لا يرقىء الله عينا من بكى حجرا و لا شفى وجد من يصبو إلى وتد

من هذه الأشعار يتضح أن أبا نواس خضع خضوعا تاما لحرب الموالي و نفذ سياستهم الهادفة إلى تمجيد الفرس و مدح حياتهم و تحقير العرب و الحط من شأنهم[2].

ديك الجن: هو عبد السلام بن رغبان واحد من الشعراء العصر العباسي الكبار، فهو شامي و لد بحمص و مات فيها[3]،و كان شعوبي يتعصب على العرب و يتحمس للعجم، بل كان يفتخر بعدم انسابه للعرب و ذلك في قوله:

([1]) محمد مصطفى هدارة، المرجع السابق، ص406

([2]) حسين عطوان، المرجع السابق، ص 192 ـ 193

([3]) مصطفى الشكمه، المرجع السابق، ص 577

أن كان عرفك مدخورا لذي سبب فاضمم يديك على حر أخي نسب

أو كنت وافقته يوما عن نسب فاضمم يديك فإني لست بالعربي

إني امر بازل في ذروتي شرف لقيصر و كسرى محتدي و أبي

من خلال هذه الأبيات كان ديك الجن يهاجم العرب و يحمل عليهم و يفخر بعدم الانتساب اليهم، و كان يقول إذا خفت عليه الشعوبية: (ما لهم فضل علينا، أسلمنا كما أسلموا، و من قتل منهم رجلا منا قتل به)[1].

و لما كان الشعراء الشعوبيون يتخذون من الأطلال ذريعة للهجوم على العرب، فإن ديك الجن اتبع نفس صيغهم فكررها في بعض شعره كقوله:

قالوا سلاما عليك يا أطلال قلت السلام على المحيل المحال

عاج الشقي مراده دمن البلى و مراد عيني قبة و حجال

لا غادين الراح و هي زلال و لأطرقن البيت فيه غزال

و لأتركن خليلها و بقلبه حرق و حشد فؤاده بلبال[2]

مهما يكن فقد ظهرت أصداء للشعوبية متمثلة في العناصر الأجنبية من ذوي الحضارات المختلفة، إذ برز شعراء من أصول غير عربية يدافعون عن هذه النزعة و حملوا على عاتقهم الفكر الشعوبي، و

(1) مصطفى الشكمه، المرجع السابق، 579

(2) نفسه، ص 579

قويت شوكتهم لمكانتهم الرفيعة في الدولة العباسية و اشتراكهم في السياسة العليا لها، و كان من أثر ذلك جهر الشعوبيون بشعوبيتهم و مهاجمة العرب كما بينته لنا أبيات بشار بن برد و أبو نواس و ديك الجن و التي تظهر العنصرية الواضحة اتجاه العرب و حياتهم، و ما كان ذلك ليحدث في الشعر العربي لو لا ذلك التمازج الحضاري في العصر العباسي الأول.

3 ـ سياسيا

كان العجم في فترة حكم بني أمية مبعدين عن السياسة و عن تقلد الناصب العليا في الدولة بسبب احتكارها من طرف العرب، و كذلك مثلت الدولة الأموية الدولة العربية التي سيطر علها العنصر العربي و لم يسمح للعناصر الأخرى بمشاركته في سياسة الدولة، لكن بعد الثورة العباسية التي اعتمدت على العناصر غير عربية و أدت إلى سقوط الدولة العربية المتعصبة للعرب تمكت العناصر الأجنبية و خاصة الفرس من الوصول إلى السلطة و فرض سيطرتهم على الحكم طيلة العصر العباسي الأول الذي سمي بعصر سيطرة العنصر الفارسي.

لعل هن أهم العوامل التي ساعدت على انتشار الشعوبية و استفحالها في العصر العباسي الأول هو اعتماد العباسيين في تأسيس دولتهم على العنصر الفارسي مستغلين نقمتهم على العرب و حكم بني أمية، فخراسان كانت مركز الدعوة العباسية و وكرا لمؤامرات الشعوبيين الناقمين على العرب و الساعين إلى تمزيق وحدتهم ممهدين الطريق لإعادة أمجاد الفرس[1].

([1]) محمد سهيل طقوش، تاريخ الدولة العباسية، ط 7، دار النفائس، بيروت . لبنان، 2009 م، ص 5049

و بعد قيام الدولة العباسية و اتضاح سياستها رأى الفرس أن هذه الدولة الجديدة لا يمكنها أن تحقق أهدافهم و طموحاتهم التي يصبون اليها، فقاموا بحركات و تمردات معادية لدولة العباسية بهدف الاطاحة بها أو تأسيس دول مستقلة عنها، و كانت فاتحة هذه الحركات حركة أبو مسلم الخراساني الذي كان يشعر بأنه المؤسس الحقيقي للخلافة العباسية و أغره التفاف الفرس حوله فكان يطمح بالانفراد في حكم خراسان و بلاد إيران كلها[1].

أن أبا مسلم الخراساني كان زعيما دينيا و منقذا بالنسبة للخراسانيين و الفرس بصفة عامة، حيث أصبح يتدخل في شؤون الدولة و جعل ممثلا له في البلاط العباسي، مما جعل الخليفة أبو العباس السفاح[2] يخشى من نفوذه فدبر له عدة مكائد للقضاء عليه لكنه لم يفلح في ذلك، كما أن جعفر المنصور[3] أشار على الخليفة بقتل أبي مسلم بقوله: (لست بخليفة ما دام أبو مسلم حيا، فاحتل لقتله قبل أن يفسد عليك أمرك) لكن أبو العباس رفض ذلك[4].

أما العلاقة بين أبي مسلم وجعفر المنصور فكانت سيئة للغاية بسبب أحداث حدثت بينهما أدت إلى تباعد الرجلين، و من بيتها قضية الحج لعام 136هـ التي ولاها أبو العباس أخاه المنصور بدل أبي مسلم الذي أراد أن يحج في ذلك العام مما جعله يغضب[5].

([1]) عبد عزيز الدوري، العصر العباسي الأول، ط 3، دار الطليعة، بيروت . لبنان، 1997م، ص 50 ـ 51

([2]) **أبو العباس السفاح**: عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، أول خلفاء بني العباس بويع في ربيع الأول سنة 132هـ و توفي سنة 136هـ و عمره 28 سنة. أنظر: ابن العمراني، المصدر السابق، ص 61

([3]) **جعفر المنصور**: أبو جعفر عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس، بويع بالخلافة سنة 136هـ، حكم 22 سنة، توفي سنة 158 هـ. نفسه، ص 62

([4]) السيد عبد العزيز سالم ا، المرجع السابق، ص 124 ـ 125

([5]) محمد سهيل طقوش، المرجع السابق، ص 50

لما تولي جعفر المنصور الخلافة سعى للقضاء على أبي مسلم، فاستعمله للقضاء على ثورة عمه عبد الله بن علي و في نيته التخلص من أحدهما حتى يتفرغ للآخر، لكن أبو مسلم زاد طغيانه بعد القضاء على ثورة عبد الله، فأراد المنصور أن يجس نبضه فأرسل اليه بأن يحصي الغنائم، فغضب أبو مسلم و كاد يقتل الرسول و توجه إلى خراسان، فخاف المنصور من انفعاله و حاول صرفه عنها و بعث اليه بتولي الشام و مصر، فرفض و واصل سيره مما جعل المنصور يلجأ إلى الحيلة للإقلاع به، وبعد مراسلات عدة جرت بينهما تمكن المنصور من اسقاط أبي مسلم في الفخ بعد أن توجه إلى العراق للقاء الخليفة الذي وجه له عدة تهم و قام بقتله في شعبان سنة 137هـ، وكان الخليفة المنصور أول من أحس بخطورة أبي مسلم و تحركاته ضد الدولة و العرب و ذلك بقتله خيرة رجال العرب الذين وقفوا في وجه مؤامراته ضد الإسلام و العروبة[1].

آثار مقتل أبو مسلم غضب أنصاره من الشعوبيين في جرسان، فظهرت حركات تنادي بالثأر له و منها حركة المسلمية التي تعتقد مبادئ الخرامية و المزدكية، و التي تزعمها رجل يدعى سنباذ من احدى قرى نيسابور[2] و هو مجوسي و أحد قواد أبو مسلم، حيث قال بإمامة أبي مسلم و أنه لم يمت و أنه سيرجع و يملأ الأرض عدلا و رحمة و يعيد أمجاد الفر س و يقضى على سلطان العرب، لكن الخليفة المنصور تمكن من القضاء على هذه الحركة بعد سبعين يوما من قيمها[3].

([1]) السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 132 ـ 133

([2]) **نيسابور**: مدينة عظيمة ذات فضائل جسيمة و هي معدن الفضلاء و منبع العلماء، تقع بين نهر جيحون إلى القادسية، و من الري لنيسابور مئة و ستون فرسخ، فتحها المسلمون في عهد عثمان رضي الله عنه. أنظر: الحموي، المصدر السابق، ج 5 ص 332

([3]) إبراهيم أيوب، تاريخ العباسي السياسي و الحضاري، ط 1، دار الكتاب العالمي، بيروت ـ لبنان، 1989 م، ص 37

و بعد هذه الحركة ظهرت حركات أخرى اقترنت بأبي مسلم و حملت نفس الغايات و الأهداف المتمثلة في اسقاط حكم العرب و اعادة أمجاد الفرس، و كانت السمة المميزة لهذه الحركات هي ارتداء البياض تعبيرا على خروجها و معارضتها للحكم العباسي الذي كان شعاره السواد، و منها حركة الروانديةّ[1] التي قامت سنة 141هـ/858م و أيضا حركة أستاذ سينّ[2] التي ظهرت في خراسان عام 150هـ/867م، لكن الخليفة المنصور سعى إلى القضاء عليها و نجح في ذلك[3].

بقيت فكرة الثأر لأبي مسلم كامنة في نفوس الفرس بل اتخذت منهجا جديدا يهدف إلى السيطرة على الدولة العباسية من الداخل، فبرزت أسرة فارسية عملت على تحقيق النظرية الفارسية التي تقضي بالمشاركة الكاملة في الحكم، وهي أسرة البرامكة التي ظهرت في أوائل الحكم العباسي مع خالد بن برمك[4] الذي اتصل بالخلفاء العباسيين[5].

في عهد الخليفة الرشيد أصبح لهذه الأسرة نفوذ كبير في الدولة، حيث استأثر البرامكة بالحكم فكان لهم أثر كبير في تسيير الدولة خاصة في حياة الخيزران أم الرشيد، و كان لهذه الأسرة ميول فارسية إذ عمدوا على اسناد المناصب الهامة في الدولة إلى شيعتهم الفرس لجعل الدولة تحت سيطرتهم، كما أنهم

([1]) **الرواندية:** هي فرقة من فرق المسلمية الخرمية و نسبت لمدينة رواند مقر دعوتهم. أنظر: أمينة البيطار، المرجع السابق، ص 163

([2]) **أستاذ سين:** من طبرستان، قام بثورة ضد جعفر المنصور سنة 150 هـ، نفسه، ص 172

([3]) محمد سهيل طقوش، المرجع السابق، ص 55

([4]) **خالد بن برمك:** من أصل فارسي اتصل بالعباسيين، و وصل إلى أعلى المراتب في دولتهم حيث تقلد وزارة السفاح ثم جعفر المنصور. أنظر: الذهبي (شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان)، سير أعلام النبلاء، ج9، ط 2، دار الصادر، بيروت . لبنان،1982م، ص 59

([5]) محمد سهيل طقوش، المرجع السابق، ص 96

يوما موسى بن يحيى البرمكي[1] عند الرشيد بأنه يميل إلى الفرس ويعمل على الاستلال اليهم[2].

راعى البرامكة الشعراء و الكتاب الشعوبيين مثل علان الشعوبي الذي كتب في مثالب العرب، وأيضا سهل بن هارون الذي كان شديد العصبية على العرب و له رسائل كثيرة في مثالب العرب، وغيرهم كثير[3].

و أتهم الرشيد البرامكة بالمجوسية و الزندقة و ذلك حينما أمر يحي بن خالد البرمكي بهدم إيوان كسرى، فنهاه يحي عن ذلك فقال له الرشيد: (هذا من ميلك للمجوس، و لابد من هدمه)، و لما سجن يحي كتب إلى الرشيد يطلب منه الرأفة و العفو عنه، فوصفه الرشيد بـ: (المخادع الزنديق)[4].

أدرك الرشيد خطر البرامكة و شعر أن الدولة مهددة بالزوال بسببهم، فأوقع بهم في النكبة المشهورة، و قد اختلفت آراء المؤرخين و الكتاب حول أسباب نكبة البرامكة و يمكن تلخيصها في مايلي:

- هدف البرامكة إلى نقل الحكم من أسرة إلى أخرى بهدف اضعاف العرب و اعادة الدولة الفارسية
- استبدادهم على الدولة و استئثارهم بالأموال و التصرف في شؤون الدولة
- تقليد المناصب في الدولة لأقاربهم و شيعتهم من الموالي و ابعاد العناصر العربية
- الميول للفرس و الترويج للعقائد المجوسية

([1]) **موسى البرمكي**: أحد الوزراء و القادة في الدولة العباسية في عهد هارون الرشيد، أخويه هما الوزيران جعفر البرمكي و الفضل بن برمك، أنظر: هولو جودت فرج، البرامكة سلبياتهم و اجابياتهم، ط 1، دار الفكر اللبناني، بيروت . لبنان، 1990 م، ص 207

([2]) السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 136

([3]) هولو جودت فرج، المرجع السابق، ص 54

([4]) نفسه، ص 55

فلم يستطع الرشيد الصبر على ما فعله البرامكة فقضى عليهم قبل أن يقضوا على ملكه، لكن عمله هذا جاء متأخرا ذلك لأن الموالي كانوا قد تمكنوا من الدولة و تغلغلوا في محيطها[1].

(1) محمد بديع شريف، المرجع السابق، ص 51 ـ 52

المبحث الثاني: الشعوبية في عهد الأمين

المطلب الأول: ـ الأمين حياته و توليه الخلافة

المطلب الثاني: ـ الصراع بين الأمين و المأمون

المطلب الثالث: ـ أسباب هزيمة الأمين

المبحث الثاني: الشعوبية في عهد الأمين

1/ الأمين مولده و خلافته

هو عبد الله محمد بن هارون الرشيد بن المهدي بن جعفر المنصور و امه زبيدة[1] هاشمي الأبوين[2]، ولد يوم الجمعة الثالث عشر من شوال سنة 170هـ بعد أخيه المأمون بستة اشهر[3]، و كان طويلا أبيضا جميلا ذو قوة و بطش و شجاعة و كان فصيحا و أديبا ذو فضيلة[4].

وكان الرشيد حريصا على تربية ابنه الأمين فأحضر له المربين و العلماء و كان أولهم الكسائي[5]، و لما كبر أمره الرشيد بإيجاد من ينوب عنه لكنه تهرب و خاف أن يأتي بمربي فيأخذ مكانه فضيق عليه الرشيد، و الكسائي كان يريد أن يدخل عليهم من لا يخشى عاقبته، فقال للأحمر[6] النحوي (هل فيك خير) قال (نعم) فقال (قد عزمت على أن أستخلفك على أولاد الرشيد) فقال الأحمر (لعلي لا أوفي بما يحتاجون اليه) فقال الكسائي (انما يحتاجون في كل يوم مسألتين في النحو و بيتين من

([1]) **زبيدة**: هي بنت جعفر المنصور العباسية و تكنى بأم جعفر، والدة الأمين بن هارون الرشيد، كانت عظيمة الجاه و المال، توفيت سنة 216هـ. أنظر: بن خلكان، المصدر السابق، ج 2، ص 314

([2]) ابن العمراني، المصدر السابق، ص 89

([3]) الطبري (محمد بن جرير)، تاريخ الرسل و الملوك، تح محمد أبو الفضل ابراهيم، ج 8، ط 2،دار المعارف، مصر، د س ن، ص 233

([4]) القرماني (أحمد بن يوسف)، أخبار الدول و آثار الأول في التاريخ، مج 2، ط 1، عالم كتب، د ب ن، م1995م، ص 90

([5]) **الكسائي**: هو علي بن حمزة بن عبد الله الأسدي الكوفي، كان اماما في اللغة و النحو، علم أبناء هارون الرشيد، توفي في الري و عمره 70 عاما، أنظر: الذهبي، المصدر السابق، ج 9، ص131

([6]) **الأحمر**: هو علي بن المبارك الأحمر النحوي، صاحب الكسائي و مؤدب الأمين، و هو من أشهر النحاة، توفي سنة 194هـ أنظر: القفطي (جمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف)، ، انباه الرواة عن انباه النحاة، تح محمد أبو الفضل ابراهيم، ج 4، ط 1، دار الفكر العربي، القاهرة. مصر، 1986م، ص 315

معاني الشعر و أحرف في اللغة و أنا ألقنك في كل يوم قبل أن تأتيهم ذلك فتحفظه و تعلمهم) فوافق الأحمر على ذلك فكان كل يوم يذهب إلى الكسائي فيتلقن ما يحتاجه أبناء الرشيد ثم يذهب اليهم فيعلمهم[1].

و عندما عهد هارون الرشيد للأحمر بتربية الأمين قال له (يا أحمر إن أمير المؤمنين قد دفع اليك مهجة نفسه و ثمرة قلبه...أقرئه القرآن و عرفه الأثار، وروه الأشعار، و علمه السنن ،و بصره مواقع الكلام و بدئه ، و منعه الضحك إلا في أوقاته...و لا تمعن في مسامحته فيستحلي الفراغ و يألفه ، و قومه ما استطعت بالقرب و الملاينة ،فان أباهما فعليك بالشدة و الغلظة)[2].

و أيضا من المعلمين الذين أشرفوا على تعليم الأمين و تربيته الأصمعي[3]، حيث يذكر أن الرشيد قال له (لا تعلمه ما يفسد عليه دينه) كما قال (أقمت مع الأمين حتى قرأ القرآن و تفقه في الدين و روى الشعر و اللغة، و روى أيام الناس و أخبارهم، واستعرضه فأعجب به) كما أن الرشيد طلب من أصمعي اختبار ولدية فقال (فكنت لا ألقي عليهما شيئا من فنون الأدب إلا و أجابا فيه وأصابا) و هذا يدل على أن الأمين كان مثقفا ذكيا له اطلاع في اللغة و الفقه و الأدب و التاريخ، كما يدل على مقدرته لتولي الخلافة[4] .

([1]) القفطي، مصدر سابق، ص 316

([2]) المسعودي (أبي الحسن بن علي)، مروج الذهب و معادن الجوهر، ج 3، ط 1، المكتبة العصرية، بيروت. لبنان، 2005م، ص 291

([3]) **الأصمعي**: هو عبد الملك بن قريب بن عبد الملك بن علي بن أصمع، و لد بالبصرة سنة 121هـ، أحد أئمة العلم باللغة و الشعر، سماه هارون الرشيد بشيطان الشعر، نال شهرة واسعة فجالسه الخلفاء، أنظر: الذهبي، المصدر السابق، ج 10، ص 175

([4]) عبد العزيز الدوري، العصر العباسي الأول، ص 144 . 145

أ/ أخلاقه

و عند الحديث عن أخلاقه الأمين فهناك اختلاف في الروايات، فالمصادر أعطت صورة عامة لأخلاق الأمين و التي تميزت حسبهم بالسيئة، و هذا ما كان على العموم، و أخرى أعطت صورة حسنة، و في ما يلي ذكر لبعض الروايات التي تعرضت لأخلاق الأمين و محاولة تحليلها.

يروي صاحب الأنباء في تاريخ الخلفاء(ت911هـ) أن زبيدة كانت دائما تعاتب الرشيد و تقول: (أنت تحب عبد الله أكثر من ابني) فقال لها يوما: (تريدين أن أعرفك الفرق بين محمد و عبد الله) قالت:(الأمر لك) فدعا خادمين و قال لأحدهما: (امض إلى محمد و اجلس عنده و أبسط في الحديث ثم قل له في أثناء كلامك: يا سيدي إذا أفضت الخلافة لك ماذا تصنع معي) و قال لآخر: (امض إلى عبد الله و أجلس عنده و تحدث معه و قل له في أثناء حديثك مثل هذا و أعد عليا ما يكون من جوابه)، فمضيا و لبثا ساعة و عاد الخادم الذي ذهب إلى محمد فقال له الرشيد: (هات ما عندك) فقال: (يا أمير المؤمنين دخلت على محمد و عنده جماعة من المضربين المساخر و الصفاعنة و المخانيث، و هو يشرب و هم يتصافعون و يتشاتمون و هو يضحك، فجلست و تحدثت كما أمرتني ثم قلت في أثناء كلامي :يا سيدي إن أفضت الخلافة اليك ما تصنع بي؟) فقال لي: (أعطيك كذا و كذا ألف دينار و أقطعك الضيعة الفلانية و أفعل معك و أصنع)، ثم دخل عليهم الخادم الآخر فقال له الرشيد: (هات ما عندك) فقال:(يا أمير المؤمنين دخلت على عبد الله، فرأيت مجلسه مغتصا بالفقهاء و الشعراء و القراء و أصحاب الحديث و هو يفاوضهم، فصيرت حتى

تقوض المجلس و دنوت منه و دعوت له و قلت: يا سيدي أرى و الله مخايل النجابة عليك، و إني أشم من أعطافك روائح الخلافة، فإن أفضت اليك فماذا تصنع معي؟، فلما سمع هذا الكلام مني استشاط غضبا و أخذ داوة بين يده فرماني بها و قال: بل يطيل الله بقاء أمير المؤمنين و يديم دولته و يمد من عمره و يجعلنا فداه، ويلك فقد جئت و بشرتني بموتي أبي...) فأخذ الرشيد يلوم زبيدة و يؤكد لها أنه لم يخطئ في تفضيله للمأمون على الأمين[1].

و الطبري(ت310هـ) يقول أن الأمين كان يطلب الملهين من جميع البلدان و كان يقوم بشراء فره الدواب، و يجلب الوحوش و السباع و الطير و يأمر بإنشاء مجالس لتنزه و اللهو في قصر الخلد، كما بنى في نهر دجلة قوارب على شكل الأسد و الفيل و العقارب و الحية و الفرس، و لما حاصرت قوات المأمون بغداد كان الأمين يلعب مع غلام له، و عند اخباره بالحصار لم يبالي بما يحدث، و كان همه الوحيد هو مغازلة الغلمان و الافتتان بهم[2].

و يصفه القضاعي(ت454هـ) بأنه قبيح السيرة سفاك لدماء ضعيف الرأي[3]، أما صاحب تاريخ الخلفاء(ت911هـ) فيقول فيه أنه كان سيئ التدبير، ضعيف الرأي، أرعن لا يصلح للإمارة، و في ثاني يوم من مبايعته بالخلافة أمر ببناء ملعب للكرة أمام قصر المنصور[4].

([1]) ابن العمراني، المصدر السابق، ص 96 ـ 97

([2]) الطبري، المصدر السابق، ص 508 ـ 509

([3]) القضاعي (محمد بن سلامة بن جعفر الشافعي)، عيون المعارف و فنون أخبار الخلائق، تح جميل عبد الله محمد المصري، د ط، جامعة أم القرى، السعودية، 1995م ص 425

([4]) السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر)، تاريخ الخلفاء، تح ابرهيم صالح، ط 1، دار الصادر، بيروت. لبنان،1997م، ص 351

و هذه الروايات كلها تجمع بأن الأمين كان ذو أخلاق سيئة من شذوذ و فساد و ضعف الإمارة و التسيير، و هذه الروايات لو حللناها لوجدنا فيها الكثير من الزيادات و الكذب و الافتراء، فكيف يعقل أن الرشيد لا ينهى ابنه عن هذه الأخلاق الفاسدة هو المتدين ذو الأخلاق الحميدة، حيث أنه كان يغزوا عاما و يحج عاما و يصلي في اليوم مئة ركعة.

غير أن هناك بعض الروايات فندت هذه الأخبار و كانت معتدلة في ذكر صفات الأمين، و مثال ذلك ما ذكره ابن الجوزي(ت597هـ) أن الأمين سمع الحديث و أسنده، و كان شجاعا ذو أدب محافضا على دينه مع حبه للهو[1].

و أن هذه الروايات و الأخبار التي وصفت الأمين بهذه الصفات إنما هي تعبر عن النزعة الشعوبية الفارسية التي ساندت المأمون في حربه ضد أخيه، و اعتبرت الصراع الذي حصل بينها هو صراع بين القومية العربية و القومية الفارسية العنصرية[2].

أ/خلافة الأمين

1 ـ ولاية العهد

ولاية العهد تمت للأمين على مرتين الأولى سنة157هـ و عمره لا يتجاوز الخمس سنوات و ذلك في مدينة بغداد حيث أخذ له الرشيد البيعة من قواد الجيش و الجند و سماه بالأمين، و يذكر الطبري

([1]) اين الجوزي (أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد)، المنتظم في تاريخ الملوك و الأمم، تح مصطفى عبد القادر، ج 9، د ط، دار الكتب العلمية، بيروت. لبنان، د س ن، ص 218

([2]) السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 73

أن سبب بيعة الأمين الأولى أنه كانت جماعة من بني العباس قد مدوا أعناقهم إلى الخلافة بعد الرشيد، و ذلك لأنه لم يكن له ولي عهد فكان لهم طمع في الخلافة، و الدليل على ذلك أنهم رفضوا هذه البيعة و أنكروها لصغر سن الأمين[1].

و في سنة 186هـ جدد الرشيد البيعة لابنه الأمين و أسند اليه ولاية الشام و العراق، و أسند إلى المأمون الأقاليم الواقعة من همذان[2] إلى بلاد العراق، ثم بايع لابنه القاسم بعد المأمون و أسند اليه الجزيرة و الثغور و العواصم، و كتب صحيفة البيعة و أشهد عليها من كان معه من الأمراء و الوزراء و جعلها في الكعبة و ذلك لأنه حج في هذا العام[3].

و كان الرشيد قد أنجب ابنه المأمون من جارية فارسية تدعي (مراجل)، و أنجب ابنه الأمين من زوجته زبيدة بعد ستة أشهر سنة 170هـ، و رغم ذلك قدم الأمين في ولاية العهد على المأمون، مما جعل الفرس و علي رأسهم البرامكة لا يرضون بهذا، فسعو وراء الرشيد لإقناعه بجعل ولاية العهد بعد الأمين للمأمون، و نجحوا في ذلك بعد أن عهد الرشيد للمأمون بالولاية بعد الأمين سنة182هـ[4].

و يتضح من هذا أن الفرس رأوا في المأمون تحقيا لمصالحهم و أطماعهم الشعوبية الهادفة إلى زيادة النفوذ الفارسي في الدولة، و العمل على التخلص من السلطان العربي، و تحقيق الاستقلال بإقامة

([1]) الطبري، المصدر السابق، ص 245

([2]) **همذان**: تقع في بلاد ما وراءالنهر، و هي عذبة المياه و طيبة الهواء فتحت في عهد عثمان رضي الله عنه. أنظر: الحموي، المصدر السابق، ج 5، ص 441

([3]) ابن كثير (الحافظ عماد الدين أبي اسماعيل بن عمر القريشي الدمشقي)، ، البداية و النهاية، تح عبد الله بن عبد المحسن التركي، ج 13، ط 1، دار الهجر، مصر، 1998م، ص 634 ـ 635

([4]) ابراهيم أيوب، المرجع السابق، ص 71 ـ 72

دولة فارسية تعيد لهم مجدهم القديم، لأن الفرس لم يهضموا حقيقة سقوط الإمبراطورية الفارسية و تملك العرب عليهم.

ب/ تولي الأمين الخلافة

كانت وفاة هارون الرشيد حدثا عظيما في تاريخ الدولة العباسية، إذ توفى بعيدا عن عاصمة الخلافة، و في هذه الأثناء كان الأمين مشغولا بتحضير نفسه للخلافة عند ما علم بمرض أبيه حيث هيأ كل ما يحتاجه من كتب و وصايا ليتسلم الخلافة في حالة وفاة والده، فقام بإرسال أحد عماله و هو بكر بن معمر و معه كتبا، و أوصاه أن لا يطلع أحدا علي الكتب التي معه حتى و لو عذب و قتل إلا بعد موت الخليفة، فيظهرها و يدفع لكل واحد كتابه، و لما وصل منطقة الطوس[1] علم الرشيد بقدومه، فسأله عن السبب فقال له أن الأمين أرسله ليعلم منه أخباره، فأمر بتفتيشه فلم يجدوا معه شيئا فألقي في السجن، فبعد وفاة الرشيد أخرج الكتب و دفع إلى كل رجل كتابه[2].

تولى الأمين الخلافة بعد وفاة والده سنة193هـ، حيث أرسل اليه أخاه صالح يعلمه بوفاة والده و أرسل له الخاتم و البردة و القضيب، فانتقل الأمين إلى قصر الخلافة، و صلى بالناس و خطب فيهم و بايعه جملة أهله، و كلف عمه بأخذ البيعة على القواد و غيرهم و أخذ البيعة علي الناس و سواهم[3].

([1]) **الطوس**: مدينة بخراسان بينها و بين نيسابور نحو عشر فراسخ فتحت أيام عثمان رضي الله عنه، و بها قبر الرشيد، أنظر: الحموي، المصدر السابق، ج 4، ص 84

([2]) الطبري، المصدر السابق، ص 365

([3]) ابن خلدون (عبد الرحمن)، تاريخ ابن خلدون، ج 3 د ط، دار الفكر، بيروت ـ لبنان، 2006، ص 289

2/الصراع بين الأمين و المأمون (أسبابه و مراحله)

أ/ أسباب الصراع

إن الصراع الذي حدث بين الأخوين الأمين و المأمون يعتبر احدي أكبر الفتن التي حدثت بين المسلمين في التاريخ الإسلامي، حيث سميت بالفتنة الرابعة، و تعود أسباب هذا الصراع الذي كاد أن يعصف بالدولة العباسية و الخلافة الإسلامية إلى أسباب سياسية و مذهبية تمثلت في مشكلة ولاية العهد و الصراع بين الكتلتين العربية و الفارسية المصحوبة بأهدافها الشعوبية، بالإضافة إلي أطماع الحاشية التي كانت تحيط بالأخوين.

1 ـ الأسباب السياسية

و تمثلت في مشكلة ولاية العهد و التي تعتبر أحد الأسباب الرئيسية لهذا الصراع، فبرغم ما عرف على الرشيد من ذكاء و بعد النظر إلا أنه وقع في نفس أخطاء أسلافه، حيث جعل ولاية العهد في أبنائه و قسم بينهم أقاليم الدولة، فبايع محمد الأمين وليا للعهد سنة 175هـ و جعل له ولاية العراق و الشام، و بعدها بايع للمأمون سنة 182هـ بعد الأمين على أن تكون له ولاية خراسان و ما يتصل بها من الولايات الشرقية، و في سنة 186هـ بايع لابنه القاسم بعد أخويه[1].

([1]) أمينة البيطار، المرجع السابق، ص 100

و إذا درسنا كتاب ولاية العهد نجد أن الرشيد أعطى للمأمون امتيازات كبيرة تحرضه للخروج على أخيه إذ قام بنقد أحد شروط العهد، مما جعل للمأمون نقطة قوة لمواجهة قرارات الأمين و مكن له من الخروج عليه، و كان الرشيد قد أقر للمأمون باستقلال في حكم خراسان، و ليس للأمين أي سلطة على تلك المنطقة[1]، كما جعل الجيش الذي كان متواجدا في خراسان في يد المأمون[2].

و بعد تولي الأمين الخلافة عزم على عزل أخيه من ولاية العهد و أحذ البيعة لابنه موسى، و هذا مخالف لوصية والده الذي جعل المأمون ولي العهد، حيث قال لوزيره الفضل بن الربيع[3]: (ويلك يا فضل لا حياة مع بقاء عبد الله و تعرضه لا بد من خلعه) حيث كانت له نية مبيتة للغدر بأخيه و عزله من ولاية العهد، و هذه المشكلة هي التي فجرت الوضع بين الأخوين[4].

2 ـ الأسباب المذهبية

و تمثلت في الصراع بين الحزبين العربي و الفارسي، و تجلى ذلك في الدور السياسي الذي لعبه الفضلين في الصراع بين الأخوين، الفضل بن سهل[5] كاتب المأمون و ممثل الكتلة الفارسية الشعوبية،

([1]) هدى أحمد العباسي، قضية ولاية العهد منذ تأسيس الدولة العباسية حتى وفاة المتوكل، رسالة أعدت لنيل شهادة الماجستير في تاريخ العرب و الإسلام، قسم تاريخ، كلية الأدب و العلوم الإنسانية، جامعة دمشق، 2006م، ص 86

([2]) الطبري، المصدر السابق، ص 340

([3]) **الفضل بن الربيع**: بن يونس، الأمير الكبير حاجب الرشيد، و كان أبوه صاحب المنصور، قام بخلافة الأمين و ساق اليه خزائن الرشيد، توفي سنة 208هـ. أنظر: ابن خلكان، المصدر السابق، ج 4، ص 37

([4]) محمد سهيل طقوش، المرجع السابق، ص 114

([5]) **الفضل بن سهل**: هو الفضل بن سهل السرخسي أبو العباس، وزير المأمون و صاحب تدبيره تعرف عليه في صباه و أسلم على يده سنة 190هـ. أنظر: ابن خلكان، المصدر السابق، ج 4، ص 41

و الفضل بن الربيع وزير الأمين و الذي كان يمثل الكتلة العربية، حيث انكشفت نوايا الطرفين و برزت للعلن بعد وفاة الرشيد و تباينت وجهات النظر السياسية لكل منهما[1].

الفضل بن الربيع نكث العهد الذي أخذ عليه من طرف الرشيد للمأمون حيث قال: (لا أدع ملكا حاضرا لآخر لا يدري ما يكون من أمره) و أمر من معه بالرحيل و ترك العهود التي أحذت عليهم، و لما علم المأمون بذلك وجه لهم كتابا ليذكرهم بالبيعة و يسألهم الوفاء، و حين مصل الكتاب للفضل بن الربيع قال لرسول: (قل لصاحبك و الله لو كنت حاضرا لوضعت الرمح فيك)[2].

و لما بلغ المأمون جوب الفضل بن الربيع قال له الفضل بن سهل: (أعداء قد استرحت منهم)[3] و من الملاحظ أن النصر الذي حققه العنصر العربي على البرامكة جعل الفضل بن الربيع يسعى إلى كسب المزيد من النفوذ و السلطان، و هذا لا يتحقق إلا في وجود خليفة مثل الأمين.

أما الفضل بن سهل فقد كان يعمل على تهيئة الأجواء للمأمون و يسعى إلى نصرته و خدمته بإخلاص، و كان قد و عده بالخلافة قائلا: (نازل في أخوالك و بيعتك في أعناقهم، فصبر قليلا و أنا أضمن لك الخلافة)[4].

([1]) محمد سهيل طقوش، المرجع السابق، ص 115

([2]) الطبري، المصدر السابق، ص 370 . 371

([3]) نفسه، ص 371

([4]) نفسه، ص 370

و حينما كتب الأمين إلى المأمون يسأله أن يتنازل له على بعض الأقاليم في خراسان حثه الفضل بن سهل على رفض طلب أخيه[1]، كما أنه هو الذي أشار عليه بالبقاء في خراسان و عدم الذهاب إلى بغداد تلبية لطلب الأمين[2].

و الواضح أن الفضل بن سهل كانت له أطماع عنصرية و أخرى شخصية، و هو ما أوضحه لأبي محمد اليزيدي حين قال له أن سبب مصاحبته و خدمته للمأمون هو ما وصل اليه من قوة و نفوذ، كما هدف إلي إعادة عظمة خراسان و قام بتوحيد الخراسانيين خلف قضيته، فكان بمثابة الإمام الجديد الذي التف حوله الخراسانيون بعد أبي مسلم الخراساني[3].

كما كان لأطماع الحاشية دور كبير في إذكاء الصراع بين الأخوين، إذ لم يكن الخليفة الأمين يفكر في نكث العهد و عزل أخويه من ولاية العهد و كانت نيته الوفاء لهما، غير أن الفضل بن الربيع كان يخشى وصول المأمون إلى الخلافة لعلمه أنه إذا أفضت الخلافة اليه و هو حي لن يقي عليه، مما دفعه إلي اغراء الأمين و حثه على خلع أخيه من ولاية العهد و جعلها لابنه موسى، و لم يزل يزين له ذلك

(1) الجهشياري (أبي عبد الله محمد بن عبد الله)، الكتاب و الوزراء، د ط، دار الفكر الحديث، بيروت. لبنان، 1988م، ص 187

(2) عبد العزيز الدوري، العصر العباسي الأول، ص 150

(3) محمد سهيل طقوش، المرجع السابق، ص 116

و يصغر في عينه من شأن المأمون، و حجته في ذلك أن البيعة كانت له قبل أخويه، و أشرك معه في هذا الرأي علي بن عيسى بن ماهان[1] و غيره من حاشية الأمين[2].

و لما أرسل الأمين إلى أخيه المأمون يطلب منه أن يقدم ابنه موسي عليه و يحضر عنده، أشارت عليه حاشيته و على رأسهم الفضل بن سهل بعدم الذهاب، و أخبره أن البيعة له في خراسان ما دام فيها فإن خرج منها فلا بيعة له فيها، فقوي عزم المأمون على الامتناع في الذهاب إلى بغداد و رفض أن يقدم موسى ابن أخيه عليه في ولاية العهد[3].

ب/مراحل الصراع

يعتبر الصراع لذي وقع بين الأخوين الأمين و المأمون نكبة كبيرة في التاريخ الإسلامي و تاريخ الدولة العباسية نظرا لما نتج عنه من فتن و حروب بين المسلمين من جهة و العنصر العربي و العنصر الفارسي المصحوب بأفكاره الشعوبية العنصرية من جهة أخرى، و من خلال دراستنا لهذا الجانب اتضح لنا أن هذا الصراع مر بمرحلتين الأولي المرحلة السياسية و كانت عبارة عن سفارات و مراسلات بين الأخوين، و المرحلة الثانية انتقل فيها هذا الصراع إلى صدام عسكري.

(1) **علي بن عيسى بن ماهان:** من أكبر القادة العسكريين في عهد الرشيد تم الأمين، قتل على يد الطاهر بن حسين قائد جيش المأمون في الري سنة 195هـ، أنظر: ابن الأثير (أبي الحسن بن أبي كريم محمد بن محمد الشيباني)، الكامل في التاريخ، تح أبي الفداء عبد الله قاض، مج 5، ط 1، دار الفكر بيروت ـ لبنان، 1987م، ص 371

(2) الطبري، المصدر السابق، ص 374 . 375

(3) ابن الأثير، المصدر السابق، ص 365

1 ـ المرحلة السياسية

كان الصراع في البداية على شكل سفارات و مراسلات بين الأخوين حول قضية ولاية العهد، فعندما سار الرشيد إلي خراسان أخذ البيعة للمأمون على جميع من معه من عساكر و قواد و أقر له بذلك، مما جعل ذلك يعظم في نفس الأمين الذي قام بإرسال كتب مع بكر بن المعتمر و أمره بدفع كل كتاب إلى صاحبه بعد وفاة الرشيد، و كتب إلى أخيه صالح يأمره بتسيير الخيش الذي كان مع أبيه إلى بغداد و أن يأتمروا بأمر الفضل بن الربيع، فلما قرأ القواد الكتب تشاوروا على اللحاق به، و دعا الفضل بن الربيع من معه إلى الرحيل إلى بغداد و نكثوا العهود التي أخذت عليهم للمأمون[1].

و لما بلغ الخبر للمأمون استشار قواده، فأشاروا عليه أن يلحق بهم و يردهم، لكن الفصل بن سهل أشار عليه أن يرسل اليهم رسلا يذكرهم بالبيعة و يسألهم الوفاء، فقام المأمون بإرسال رسل إلى ابن الربيع و من معه، فلم يجيبوه في ذلك و أكملوا مسيرهم إلى بغداد، و حين بلغ المأمون ما كان من أمر القوم انزعج و غضب كثيرا، لكن الفضل بن سهل طمأنه و وعده بالخلافة و أ شار عليه أن يبعث إلى الفقهاء يدعوهم إلى الحق و احياء السنة، و يرد المظالم إلى الناس و يكون قريبا من نفوس الرعية، غير أن المأمون لم يبدي عضبه و انزعاجه للخليفة و أرسل اليه بالهدايا و التعظيم[2].

([1]) ابن الأثير، المصدر السابق، ص 364

([2]) محمد الخضري بك، محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية. الدولة العباسية، ط 1، مؤسسة المختار لنشر و التوزيع، القاهرة ـ مصر، 2003م، ص 151

في حين كان الفضل بن الربيع يحث الخليفة الأمين على خلع أخيه المأمون من ولاية العهد و مبايعة ابنه موسى وليا لعهد بعده، فأمر الأمين بالدعاء لابنه موسى في المنابر بعد كل من المأمون و القاسم[1]، ثم قام بخلع القاسم من ولاية العهد، فعلم المأمون بذلك و أدرك أن الأمين ينوي خلعه هو الآخر، فقطع البريد عنه و أسقط أسمه من الطرز[2].

و لم يظهر الأمين نواياه لأخيه و طلب منه أن يتنازل له على بعض الأجزاء من خراسان باعتباره صاحب السلطان و له الحق في التصرف في شؤون الدولة، غير أن المأمون رفض ذلك و اعتبره مخالفا للعهد و أسل اليه يعتذر منه رافضا طلبه[3].

كما أرسل إلى الأمين يطلب منه أن يبعث اليه أبنائه، اضافة إلى مئة ألف دينار كان الرشيد قد أوصى له بها، فكان رد الأمين أنه صرف الأموال في أمور المسلمين، أما عن أبنائه فأخبره أنهم في الحفظ و الصون و لا يجب أن يعرضهم إلى المخاطر و مشقة السفر[4].

و بعدها أرسل الأمين وفدا إلى المأمون يطلب منه القدوم اليه، فأكرمهم المأمون و استشار وزيره الفضل بن سهل فحذره من الأمين و نصحه بالاعتذار عن الذهاب إلى بغداد، وطلب منه العمل

([1]) السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 74

([2]) عبد العزيز الدوري، العصر العباسي الأول، ص 150

([3]) أحمد محمود حسين، العالم الإسلامي في العصر العباسي، ط 5، دار الفكر العربي، د ب ن، د س ن، ص 114

([4]) الجهشياري، المصدر السابق، ص 188

على تقوية جيشه، فأرسل المأمون رسالة إلى أخيه مفادها أنه لا يستطيع ترك خراسان خوفا من انقلاب الأمور فيها و غلبة أعدائها عليها[1].

و لما بلغ الأمين أن الجنود قد التفوا حول المأمون، أرسل اليه ثلاثة رسل من كبار الأمراء يسأله تقديم ابنه موسى عليه و سماه الناطق بالحق، فامتنع المأمون و أبا كل الإباء أن يجيبهم، فقال له العباس بن موسى بن عيسى: (لقد خلع أبي نفسه، فماذا كان) فقال له المأمون: (إن أباك كان إمرءا مكرها)، و لما رجع الرسل إلى الأمين و أخبروه بما كان من جواب أخيه، قام بخلعه و أمر بالدعاء لابنه موسى، و بعث إلى مكة و أحذ كتاب الرشيد الذي كان في الكعبة و مزقه، و أكد البيعة لابنه موسى[2].

و نتيجة لهذا النزاع توترت العلاقة بين الأخوين بشكل كبير و أغلقت الحدود بينها، و قام المأمون بقطع الطرق أمام الدعاية الأمين لاستمالة أهل خراسان، و أقام حراسة مشددة على الطريق بين العراق و خراسان، و أمر باعتقال كل شخص مشبوه، و أغضبت تصرفات الأمين الخراسانيين و غيرهم من أهل الأمصار، فقاموا في وجهه و اضطربت الأوضاع و أوشكت الدولة العباسية على الانقسام، و أضح الصدام العسكري أمرا محتوما[3].

(1) عبد العزيز الدوري، العصر العباسي الأول، ص 150

(2) ابن كثير، المصدر السابق، ج 14، ص 57

(3) محمد سهيل طقوش، المرجع السابق، ص 118

2 ـ المرحله العسكرية

تطورت الفتنة بين الأخوين و أصبحت صراعا بين الفرس أنصار المأمون و العرب أنصار الأمين، و ذلك بعد نكث العهود و المواثيق التي و ضعها الرشيد، و تمسك كل طرف بموقفه، هذا ما أدى إلي الصدام عسكري و الحرب بين الطرفين كادت أن تعصف بالدولة العباسية .

ـ موقعة الري 195هـ . 811م

نتيجة لعدم توصل الطرفين إلى حل، أعلن الخليفة الأمين الحرب على أجيه، و قام بتجهيز جيش قوامه خمسون ألف بقيادة علي بن عيسى بن ماهان، و أمره بالمسير لقتال المأمون و أقطع له كور الجبل و أعطاه الأموال[1]، و يقال أن الفضل بن سهل كان له جاسوس على الفضل بن الربيع يستشيره، فكتب اليه أن يشير عليه بإرسال ابن ماهان لحربهم لأن أهل خراسان كانوا يبغضونه لأنه أساء السيرة فيها لما ولاه الرشيد عليها ليزدادوا عزيمة في محاربته[2]، و في هذه الأثناء كان الطاهر بن حسين[3] يجهز أصحابه و يستعد للقتال علي بن عيسى قائد جيش الأمين في مكان يقال له الري[4]، و

([1]) ابن طباطبا (محمد بن علي بن طقطقا)، الفخري في الآداب السلطانية و الدول الإسلامية، د ط، دار الصادر، بيروت. لبنان، د س ن، ص 213

([2]) ابن الأثير، المصدر السابق، ص 331

([3]) **الطاهر بن حسين**: الطاهر بن حسين الخزاعي أبو الطيب و قيل أبو طلحة، ذو اليمينين، أعور أديب و ذو حكمة و شجاعة، و هو من كبار قواد المأمون. أنظر: الذهبي، المصدر السابق، ج 3، ص 221

([4]) **الري**:هي مدينة من أمهات البلاد و أعلام المدن، و هي مدينة عجيبة في فضاء من الأرض، تقع في خراسان. أنظر: الحموي، المصدر السابق، ج 3 ، ص 117

أرسل إلى ملوك الديلم و طبرستان[1] يطلب منهم قطع الطريق على خراسان فأخابوه، و عسكر خارج الري في أقل من أربعة آلاف مقاتل، و نادى فيهم بخلع الأمين و مبايعة المأمون لكى لا يخدعه على بن عيسى بطلب طاعة الخليفة الأمين من جنود الطاهر، و رفع كتاب البيعة على الرمح، و دارت بينهما معركة حامية الوطيس انتهت بهزيمة جيش على بن عيسى بن ماهان و مقتله و أرسل رأسه إلى المأمون، و لما وصلت أخبار الهزيمة إلى الأمين قام بمصادرة أملاك أخيه في بغداد، و ندم على نكثه و غدره[2].

ـ حملة عبد الله بن جبلة:

عندما علم الأمين بمقتل على بن عسى بن ماهان و انهزام جيشه، أرسل حملة أخرى بقيادة عبد الرحمن بن جبلة الأنباري في جيش قوامه عشرين ألف مقاتل و أمده بالأموال و أمره بالسير نحو همذان، و عقد له الولاية عليها و على كل أرض يفتحها في خراسان، فسار اليها و حصنها[3].

و في هذه المرحلة ظهر طموح المأمون في الانفراد بالخلافة، إذ أنه انتقل من مرحلة الدفاع إلى مرحلة الهجوم، حيث قام بتوجيه جيش الطاهر لمواجهة جيش الأمين في همذان و مقاتلتهم، و جرت بينهما

(1) **طبرستان:** يسميها العجم مازندار، تقع بين الري و بحر الجزر، أرضها كثيرة الأشجار و المياه و الأنهار، نفسه،ج 4 ، ص 12

(2) ابن خلدون، المصدر السابق، ص 293

(3) ابن الأثير، المصدر السابق، ص 376

معركة طاحنة كثر فيها القتل خاصة في جيش الأمين، و انهزم عبد الرحمن و لجأ إلى همذان و تحصن بها[1].

و قام عبد الرحمن بإعادة الكرة و خرج لقتال الطاهر الذي كان مرابضا حول همذان، و حدث بينها قتال شديد انتهى بانتصار جيش المأمون[2]، و لجأ عبد الرحمن مرة أخرى إلى همذان و تحصن بها، و أقام الطاهر على بابها محاصرا لها، و كان عبد الرحمن يخرج كل يوم يقاتل عند أبواب المدينة[3].

و بعد اشتداد الحصار على المدينة تخوف عبد الرحمن منّ أن ينقلب أهل المدينة عليه بعد أن هلك أصحابه، فأرسل إلى الطاهر يسأله الأمان له و لمن معه، فأمنه الطاهر و أحسن اليه، غير أن عبد الرحمن لم يستسلم و قام بخداعهم و غدر بالطاهر و جنوده و كر عليهم، و اشتد القتال بينهم و كانت الغلبة لجيش الطاهر، و ظل عبد الرحمن مرابطا في القتال حتى قتل في المعركة[4].

و كان هذا الانتصار انتصارا للمعسكر الفارسي الذي مكن لهم من التحكم في مقاليد الحكم في الدولة العباسية من جديد، كما سهل وصول المأمون إلى الخلافة.

ـ حملة أسد بن يزيد 196هـ/811م:

بعد انهزام عبد الرحمن بن جبلة قائد جيش الأمين، قام بإرسال جيش آخر لقتال الطاهر بن حسين، و عين على رأسه أكثر من قائد و من بينهم أسد بن يزيد، غير أن الطاهر بن حسين قام

(1) ابن الأثير، المصدر السابق، ص 376
(2) ابن خلدون، المصدر السابق، ص 194
(3) الطبري، المصدر السابق، ص 414
(4) ابن الأثير، المصدر السابق، ص 377

بدس الجواسيس في حيش الأمين و أمرهم بنشر الشائعات بين الجند على أن الأمين قد وضع العطاء لأصحابه و أمر لهم بالأرزاق الوافرة، فاختلف الجيش و قاتل بعضهم البعض، و رجعوا من غير قتال[1].

و بعد فشل كل الحملات التي أرسلها الأمين، كان في المقابل جيش المأمون بقيادة الطاهر يوسع نفوذه، حيث سيطر على الأهواز حين التجأ اليها محمد بن يزيد المهلبي فحاصره و قامت بينهما معركة انتهت بانهزام جيش محمد بن يزيد[2].

ثم سيطر الطاهر على منطقة الواسط[3]، و وجه أحد قادته إلي الكوفة[4] التي كانت تحت ولاية العباس بن موسى الذي قام بخلع الأمين و مبايعة المأمون بعد أن وصله خبر سيطرة الطاهر على الواسط و الأهواز، و هذا مكان أيضا مع والي الموصل[5] المطلب بن عبد الله بن مالك الذي بايع

(1) ابن الأثير المصدر السابق، ص 380 ـ 381

(2) الطبري، المصدر السابق، ص 433 ـ 434

(3) **الواسط**: سميت الواسط لأنها توسطت البصرة و الكوفة ، تم بناؤها في عهد الحجاج الثقافي، وهي مدينة عسكرية كان القصد من بنائها هو الخروج من فتن الكوفة و البصرة. أنظر: الحموي، المصدر السابق، ج 5، ص 348

(4) **الكوفة**: أرض من بابل في العراق، و تسمى خد العذراء، و قيل سميت كوفة لاجتماع الناس بها، بنيت في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه. نفسه، ج 4، ص 468

(5) **الموصل**: مدينة مشهورة و عظيمة و هي باب العراق و مفتاح خراسان، و سميت الموصل لأنها وصلت بين الجزيرة و العراق تقع على طرف نهر دجلة. نفسه، ج 5، ص 223

المأمون هو الآخر، و أقرهم الطاهر على أعمالهم، ثم استولى على المدائن[1] بعد انسحاب معظم أهلها و فرار أصحاب البر مكي والي المدينة[2].

و رغم محاولات الأمين استرجاع المناطق التي استولى عليها جيش المأمون، إلا أن كل محاولاته كانت فاشلة، كما أن الخوف و الرهبة التي تركتها قوات الطاهر في نفوس جيش الأمين كانت أحد أسباب فشل حملات الأمين.

ـ حصار بغداد و مقتل الأمين:

بعد انتصار جيوش المأمون و فتحها لعدة أقاليم كانت تابعة للأمين قام الطاهر بن حسين و هرثمة بن الأعين سنة 197هـ/812 م بمحاصرة مدينة بغداد و منعوا التجار و البضائع من الدخول اليها و حولوا السفن إلى البصرة و غيرها فارتفعت أسعار السلع و البضائع و اشتد الحال على أهل بغداد[3].

دارت بين الفريقين معارك عدة في بغداد منها موقعة درب الحجارة التي انتصر فيها أصحاب الأمين و أيضا موقعة الشماسية التي أسر فيها هرثمة بن الأعين، و لكن الطاهر بن حسين تمكن من تحريره[4].

([1]) **المدائن**: تقع على جانب دجلة بالقرب من بغداد، و تتألف من سبعة مدن، و كانت دار ملك الأكاسرة. أنظر: الحموي، المصدر السابق، ج 5، ص 74

([2]) ابن الأثير، المصدر السابق، ص 383

([3]) نفسه، ص 393 ـ 394

([4]) نفسه، ص 395

و نتيجة لهذا الحصار اشتد الأمر على الأمين و لم يعد عنده مال ينفقه على الجند، ففر الكثير منهم إلى جيش الطاهر بن حسين الذي استحوذ على الكثير من ضياع الأمراء و دعاهم إلى خلع الأمين و مبايعة المأمون فاستجابت له جماعة منهم[1].

انتهت سنة 197هـ و بغداد تشتكي الحصار و القتل و الحرق و السرقة و غيرها، و في سنة 198هـ دخل هرثمة بن الأعين الجانب الشرقي لبغداد و دعا الناس إلى مبايعة المأمون و خلع الأمين، و قام الطاهر بن حسين بمحاصرة قصر الخلد و قصر زبيدة و رميهم بالمنجنيق، فخرج الأمين مع أمه و ولده إلى مدينة أبي جعفر و حوصر فيها حصارا شديدا حتى أشرف على الهلاك[2]فاجتمع عنده من بقي معه من الأمراء و الجند و الخدم فأشار عليه بغضهم بأن يذهب إلى الجزيرة أو الشام، وأشار عليه البعض الأخر بأن يخرج إلى الطاهر بن حسين و يأخذ منه الأمان و يبايع المأمون و قال بعضهم بأن يسلم نفسه لهرثمة لأنه الأولى بأن يأخذ له الأمان، فمال الأمين إلى هذا الرأي فخرج إلى هرثمة يوم الأحد 4 صفر سنة 198هـ الذي عظمه و أكرمه و ركبا في حراقة في نهر دجلة[3].

و لما علم الطاهر بذلك غضب غضبا شديدا و عظم عليه أن يكون الفتح لهرثمة، فأرسل اليه مجموعة من الجند الذين لحقوا بهم في دجلة و قاموا بإغراق الحراقة، فغرق من كان بها، غير أن الأمين تمكن من السباحة و الوصول إلى الجانب الآخر من النهر، فحبس في بيت بجانب النهر، و في الليل دخلت عليه جماعة من العجم كان الطاهر قد أرسلهم فقاموا بقتله و أخذوا رأسه إلى الطاهر فبعث

([1]) ابن الأثير، المصدر السابق، ص 396

([2])نفسه، ص 399 ـ 400

([3]) نفسه، ص403 ـ 404

به إلى المأمون و معه الخاتم و البردة و القضيب و كتب له بالفتح، و دخل الطاهر بغداد و صلى بالناس و خطب للمأمون[1].

و بمقتل الأمين يكون المعسكر الفارسي قد حقق غايته في الوصول إلى الحكم في الدولة العباسية من جديد أمام تراجع نفوذ العنصر العربي الذي انهزم في هذه الحرب.

([1]) ابن الأثير، المصدر السابق، ص 404 ـ 405

3/ أسباب هزيمة الأمين

إن هزيمة الأمين في هذه الحرب كانت نتيجة لعدة أسباب اجتمعت فيما بينها عجلت بنهايته و جعلت الغلبة لأخيه المأمون و للمعسكر الفارسي المدعوم بأفكاره الشعوبية، فالأمين رغم ما كان يملكه من عتاد وعدة و جيش منظم إلا أن ذلك لم يجلب له النصر، و هذه الأسباب اختلفت فيما بينها، فمنها الجوسسة و سوء تخطيط و تخاذل في صفوف جيش الأمين بإضافة إلى لهو الأمين و تهاونه و عدم أحذه الأمور بجدية.

أ ـ الجوسسة

من أهم الأسباب التي أدت إلى هزيمة الأمين هي اعتماد المأمون خطة الجوسسة التي كان لها دور في انتصاره على أخيه في الحرب حيث استطاع الفضل بن سهل أن يجعل لنفسه عيون داخل بلاط الخليفة، إذ تمكن من استمالة بعض قواد الأمين و تجنيدهم لصالح المأمون، و من أهم القادة الذين استطاع تجنيدهم العباس بن موسى الذي أرسله الأمين على رأس الوفد الذي فاوض المأمون في قضية تنازله على ولاية العهد، فقد عمد الفضل إلى استمالته و وعده بإمرة الحج و بعض الواضع من مصر فأجابه و بايع المأمون و كان عينا لهم على الأمين حيث كان يكاتبهم بالأخبار[1] و يشير عليهم بالرأي[2].

([1]) ابن خلدون، المصدر السابق، ص 291

([2]) الطبري، المصدر السابق، ص 376

لم يكتفي الفضل بذلك بل كانت له العديد من العيون في بغداد، حيث كانت تدور حرب استخباراتية بين الطرفين ، و برغم من أن الفضل بن الربيع شعر أن هناك من يخون الأمين لصالح المأمون إلا أنه لم يتمكن من كشفهم، لأن جواسيس الفضل بن سهل كانوا إذا أرادوا مراسلته سيروا الكتاب مع امرأة و جعلوه في عود أكفاف، و تسير هذه المرأة من قرية إلى قرية و ذلك وفق تعليمات الفضل بن سهل[1].

و من جهة أخرى لم يستطع الأمين الوصول إلى أخبار المأمون و ذلك بسبب حماية هذا الأخير لخراسان من جواسيس الأمين، حيث قام بتوجيه الحراس إلى الحدود لمنع مرور أي رسول من العراق قبل أن يتم تتبعه و التأكد منه، و لا يترك له المجال للقيام بأي أمر أو اصال أي خبر أو كتاب لأي شخص آخر[2].

و بهذا يكون الفضل بن سهل قد ربح هذه الحرب الاستخباراتية و استطاع الحزب الفارسي التغلب على الحزب العربي، و برغم أن الفضل بن الربيع كان يراقب كل شيء إلا أن تعليمات فضل بن سهل أحبطت كل محاولاته لكشف مخططات المأمون و جواسيسه و تذك المصادر أن في هذه الفترة كان المأمون يخطط ينظم و كان الأمين يلهو و يلعب.

(1) ابن الأثير، المصدر السابق، ص 368

(2) الطبري، المصدر السابق، ص 391

ب ـ التخاذل في صفوف الأمين

لم يستطع الأمين أن يسيطر على زمام الأمور فراحت الأزمات و الفتن تفتك بالأمن الداخلي لبغداد حيث و صل الأمر إلى حد خلع الأمين من الخلافة و عزله هو و أمه زبيدة، حيث تذكر المصادر أن الحسن بن علي بن عيسى بن ماهان لما عاد بالجيشين الذين أرسلهما الأمين لقتال الطاهر بن حسين وجه اليه الأمين رسولا يطلبه فقال: (و الله ما أنا بمسامر و المضحك و لا وليت له عملا و لا جاء له على يد خير، فلأي شيء يريدني في هذه الليلة)[1].

و في صباح اليوم التالي لم يذهب إلى الأمين و قام في الناس خطيبا يحرضهم على الأمين و يقول بأنه لا يهتم إلا باللهو و أنه لا يستحق الخلافة، و أخذ بالدعاء للمأمون و لتف حوله الكثير من الناس، و قام بخلع الأمين سنة 196هـ وسجنه هو و أمه زبيدة وضيق عليهما و اضطهدهما[2].

و في هذه الأثناء انقسم أهل بغداد إلى فرقتين فرقة مع الخليفة الأمين و فرقة قامت ضده، و نشب بينهما قتال شديد انتصر فيه أصحاب الأمين و اعتبروا أن الحسين بن على خائن يستحق العقاب، غير أن الأمين عفا عنه و إستوزره و ولاه حربه ، إلا أنه خانه مرة أخري و هرب فأرسل الأمين وراءه و قتله[3].

([1]) ابن كثير، المصدر السابق، ج 14، ص 88

([2]) نفسه، ص 88 ـ 89

([3]) الطبري، المصدر السابق، ص 430 ـ 431

ج ـ لهو الأمين و تهاونه

أكدت مختلف المصادر أن الأمين اشتغل بكل شيء إلا الحرب التي كانت بينه و بين أخيه، حيث أنه لما وصله خبر هزيمة جيش علي بن عيسى و مقتله كان يصطاد السمك و قال للذي أخبره: (و يلك دعني فإن كوثر[1] قد اصطاد سمكتين و أنا لم أصطد شيئا بعد)[2] و هذا يدل أن الأمين لم يكن مهتما مجريات الحرب بل كان منغمسا في الهو و الترف عكس أخيه المأمون الذي كان على إطلاع على كل كبيرة و صغيرة، حيث كان لتخاذل الأمين و تكاسله أثر سلبي على الحزب العربي.

و يروى أن الفضل بن الربيع كان غاضبا من الأمين و سياسته و راح يقول فيه: (ينام نوم الضربان و ينتبه انتباه الذئب، همه بطنه، يحتال الرعاع و الكلاب ترصده، لا يفكر في زوال النعمة و لا يروى في امضاء رأي و لا مكيدة، قد ألهاه كأسه، و شغله قدحه، فهو يجري في اليوم و الأيام توضع في هلاكه، قد شمر عبد الله عن ساقه، و فوّق له أصوب أسهمه، يرميه على بعد الدّار بالحتْف النافذ، و الموت القاصد، قد عبّى له المنايا على متون الخيل، و ناط له البلاء في أسنة الرماح و شفار السيوف...)[3].

و كان أيضا لسوء رأي الأمين سببا في هزيمته، خاصة حينما عفا عن الحسن بن علي الذي كام قد عزله و سجنه و بايع المأمون، و فوق كل هذا قلده الوزارة و الجيش، و هذا يدل على ما كان في الأمين من سذاجة في ادارة شؤون الخلافة و الحرب و هو ما أدى إلى تخلي أصاحبه و ولاته عنه.

([1])**كوثر**: كان خادم الأمين الذي يفضله و يحبه كثرا. أنظر: ابن العمراني، المصدر السابق، ص 90

([2]) ابن الأثير، المصدر السابق، ص 375

([3]) الطبري، المصدر السابق، ص 418

المبحث الثالث: الشعوبية في عهد المأمون

المطلب الأول: ـ دور الفرس في وصول المأمون إلى الخلافة

المطلب الثاني: ـ النفوذ الفارسي

المطلب الثالث:ـ الحركات الفارسية

المبحث الثالث: الشعوبية في عهد المأمون

1/ دور الفرس في وصول المأمون إلى الخلافة

كان لنفوذ الفارسي دور كبير في ادارة الحياة السياسية في العصر العباسي الأول، فمنذ قيام الدولة العباسية و الفرس يتدخلون في شؤون الدولة بل و أحيانا هم الدولة نفسها، فكان لهم في كثير من الأحيان الفضل الكبير في وصول بعض الخلفاء إلى الحكم مثلما فعلوا مع هارون الرشيد عندما حاول أخوه عزله من ولاية العهد و مبايعة ابنه، و أعادوا الكرة مع الخليفة المأمون عندما ناصره و خاضوا الحرب في سبيل إجلاسه على كرسي الخلافة.

يمكن القول أن وصول المأمون إلي الخلافة كان بمثابة هدية قدمها له الفرس و على رأسهم الفضل بن سهل الذي كان يتولى أمر المأمون منذ عهد الرشيد، و سعى بكل الطرق لكي يضمن له الخلافة و يحميه من طغيان السلطان، حيث لعب دورا كبيرا في كل الأحداث التي تلت موت الرشيد، فأول لبنة وضعها الفضل في سبيل وصول المأمون إلى الخلافة كانت أثناء خروج الرشيد لإخماد الثورات التي قامت في خراسان حيث استخلف على بغداد ابنه الأمين و أمر المأمون بالبقاء معه في بغداد، غير أن الفضل بن سهل لحنكته قال للمأمون: (لا تقبل و سله أن تشخص معه فإنه عليل و غير مأمون،

فإن يحدث له حادث أخاف أن يثب عليك أخوك فيخلعك...و أمه زبيدة و أخواله من بني هاشم)، فسأله المأمون بأن يسمح له بالذهاب معه، فأجابه الرشيد[1].

و بهذه الخطوة بدأ المأمون يفلت من أخيه و سطوته و سار مع أبيه إلى خراسان، غير أن علة الرشيد استفحلت عليه فنزل بالطوس و أمر المأمون بالسير إلى خراسان و معه كاتبه و مدبر أموره الفضل بن سهل، و لما أحس الرشيد بدنو أجله جدّد العهد لأبنائه الثلاثة و أوصى من معه باللحاق بالمأمون كما أوصى بما معه من مال و عتاد لابنه المأمون، و مات الرشيد بطوس ستة 193هـ و دفن بها[2].

بعد هذا أخذ الفضل بيد المأمون و لم يدخر جهدا في نصحه و الاخلاص اليه، و حين نكث قواد الرشيد و جنوده العهد الذي أخذ عليهم و رجعوا إلى بغداد، أراد المأمون أن يلحق بهم ليردهم لكن الفضل قال له: (إن فعلت ذلك لا آمن أن ينقضوا عليك و يجعلوك هدية إلى محمد)[3].

و لما رأى الفضل أن الخلاف قد بدأ يستفحل بين الأخوين أخذ يمهد له الطريق للخلافة فأخذ يحببه للنّاس و يحبب له العدالة و الإنصاف و قال له: (لقد قرأت القرآن و فهمت أمر الدّين، و رأي أن تجمع الفقهاء و تدعوهم إلى الحق و العمل به و إحياء السّنة و أن تعقد على اللبود و تواصل

([1]) ابن الأثير، المصدر السابق، مج 5 ص 350

([2]) أحمد شلبي، موسوعة التاريخ الإسلامي، ج 3، ط 1، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة. مصر، 1980م، ص 320

([3]) الجهشاري، المصدر السابق، ص277

النظر في المظالم و تكريم القواد و الرؤساء و أبناء الملوك) ففعل ذلك و أنقص على أهل خراسان ربع الخراج، فأحبه أهلها و أقبلوا عليه و كانوا يقولون: ابن أختنا و ابن عم رسول الله[1].

بعد أن اشتدّد الخلاف بين الأخوين من أخل ولاية العهد خاف المأمون عاقبة ذلك و هم بخلع نفسه و مبايعة موسى ابن الأمين، لكن الفضل بن سهل أشار عليه بأن لا يفعل ذلك و شجعه و ضمن له الخلافة[2]، ففي سنة 194هـ وجه الأمين وفدا إلى المأمون يطلب منه رضاه بتقديم ابنه موسى على نفسه في ولاية العهد، و تحدث العباس بن موسى مع المأمون و قال له: (ما عليك أيها الأمير من ذلك، فهذا جدي عيسى بن موسى قد خلع فما ضره ذلك)، فرد عليه الفضل بن سهل و صاح به: (أسكت فجدك كان في أيديهم أسيرا و هذا بين أخواله و شيعته)، و هذا يؤكد ما كان يريده الفضل حيث كان يسعى إلى عدم توصل الأخوين إلى حلول سياسية، فسعى لتحقيق ما وعد به المأمون و يريد أن تبقى الفتنة و الانشقاق بين الاخوين لأنه رأى أن ذلك ليس من مصلحته و قد وقف سدا منيعا اتجاه كل الحلول و الأفكار التي ظهرت بين الاخوين و منع المأمون من الموافقة عليها[3].

و كان الفضل قد قال له من قبل: (إن هذه الدولة لم تكن قط أعز منها أيام المنصور فخرج عليه المقنع و هو يدعي الربوبية، و قبل كان يطلب بدم أبي مسلم و ضعضع العسكر بخروجه لخراسان، و خرج بعده يوسف البرم و هو عند المسلمين كافر فتضعضعوا له أيضا، تم أخبرني أيها الأمير كيف

([1]) الجهشياري، المصدر السابق، ص 278 . 279

([2]) ابن طباطبا، المصدر السابق، ص 213

([3])الطبري، المصدر السابق، ج8، ص 376

رأيت النّاس ببغداد عندما ورد اليهم خبر رافع، قال: رأيتهم اضطربوا اضطرابا شدّيدا، قال : كيف بك و أنت نازل بين أخوالك و بيعتك في أعناقهم، كيف يكون اضطراب أهل بغداد، اصبر و أنا أضمن لك الخلافة)، فقال المأمون: (قد فعلت وجعلت الأمر اليك)[1].

و لما و صلت أخبار خلع الأمين لأخيه من ولاية العهد و مبايعة ابنه موسى، كان أول ما فعله الفضل أنه بدأ بتحضير الجيش و وكل قيادته إلى الطاهر بن حسين الذي سار إلى الرّي و عسكر بها و بث العيون و الطلائع لتأتيه بالأخبار، و كان الفضل قد اتخذ لنفسه قوما يثق بهم و جعلهم جواسيس له في بغداد يكاتبونه بأخبار الأمين مثلما حدث مع على بن عيسى بن ماهان عندما جعله الأمين قائدا للجيش في حربه ضد المأمون[2].

و لعب الفضل دورا كبيرا في حشد الخراسانيين و توحيدهم خلف قضية المأمون، و شجعه على الصمود في وجه قوات علي بن عيسى الزاحفة إلى خراسان و لعب دورا كبيرا في ترجيح كفته، و كان من جهوده التي بذلها هي حسن اختيار القادة و حسن اعداد الجيش بما يلزمه[3].

و كان المأمون أول المعترفين للفضل بذكائه و حسن تدبيره، فما إن ظهرت للمأمون علامات النصر و بدأت جيوش الأمين تتراجع و تنهزم حتى أثنى المأمون على الفضل و عظم من شأنه، و بعد أن صح عند المأمون خبر انتصار جيشه بقيادة الطاهر بن حسين أمر أن يخطب له و يخاطب بأمير

(1) ابن الأثير، المصدر سابق، ص 361
(2) نفسه، ص 368
(3) أحمد محمود حسين، المرجع السابق، ص 117

المؤمنين و دعا الفضل بن سهل و عهد له بالمشرق و جعل له عمالة قدرها ثلاثة ملايين درهم و لقبه بذو الرياستين حيث جمع بين لقب الوزارة و الإمارة و كتب له توثيقا طولا يدل على مدى إجلاله و اعترافه بفضله[1].

و هذا إن دل على شيء فإنما يدل على الفضل الكبير الذي لعبه الفضل بن سهل في و صول المأمون إلى الخلافة، فهو الذي أخذ بيد المأمون منذ البداية و وقف بجانبه و خدمه بإخلاص، و كان المدبر الرئيسي لكل ما وقع بين الأخوين من أحداث و فتن[2].

([1]) ابن الأثير، المصدر السابق، ص 375

([2]) الجهشياري، المصدر السابق، ص 305 . 306

2/ النفوذ الفارسي

يعتبر تولي المأمون الخلافة بمثابة انتصار للكتلة الفارسية على نظيرتها العربية، حيث أن حاشية المأمون و التي أغلبها من الفرس كان لها دور كبير في وصوله إلى الخلافة، هذا ما جعل النفوذ الفارسي يستفحل في عهده و يسيطر على مقاليد الحكم في الدولة، فكان منهم الوزير و قادة الجيش و الولاة، مما مكنهم من الوصول إلى أحد أهدافهم الشعوبية وهو تأسيس دول مستقلة عن حكم الخلافة العباسية مثل الدولة الطاهرية التي تعتبر أول دولة استقلت بالحكم في تاريخ الخلافة الإسلامية في المشرق الإسلامي.

ب/ بنو سهل

يعتبر الفضل بن سهل أول وزراء المأمون و هو من رجال جعفر البرمكي[1]، و من البديهي أن يتبع في سياسته سبيل البرامكة و يحذوا حذوهم في تدبير أمور الدولة، حيث يعتبر حامل لواء البرامكة و مختصرا لدولتهم، و كان الرشيد هو الذي اختار الفضل بن سهل لخدمة المأمون بإشارة من جعفر البرمكي، فأصبح هو مدبر أمره إبان ولاية العهد و في حربه ضد أخيه[2]، و يقول ابن طباطبا (ت 584هـ): (أول وزراء المأمون بنو سهل، و كانت دولتهم في جبين الدهر غرة، و في مفرق العصر

(1) **جعفر البرمكي**: أبو الفضل جعفر بن يحي بن خالد بن برمك، وزير هارون الرشيد كان عظيمة المنزلة عند الرشيد و ذو أخلاق له فصاحة بلسان و بلاغة، قتله الرشيد في نكبة البرامكة المشهورة سنة 187هـ. أنظر: ابن خلكان، مصدر سابق، ج 3 ص 328

(2) أحمد فريد الرافعي، عصر المأمون، مج 1، د ط، مؤسسة هنداوي لتعليم و الثقافة، قاهرة. مصر، 2012م، ص 285

درّة، و كانت محتصرا لدولة البرامكة، و هم صنائع البرامكة، فالوزير الأول للمأمون منهم الفضل بن سهل)[1] ، و يؤكد ذلك الجهشياري (ت331هـ) بقوله: (كان الفضل من رجال جعفر البرمكي و كان له نفوذ كبير في عصر المأمون، و اليه يرجع الفضل في انتصار المأمون على أخيه)[2]، و جعل له المأمون مكانة عالية حيث كان يسمع منه و لا يتقدم عليه أحد[3].

و رغم المكانة التي جعلها المأمون للفضل، إلا أن لهذا الأخير أهداف شعوبية عنصرية كان يسعى إلى تحقيقها، مما جعله يستولي على المأمون و يقطع الأخبار عنه و يعمل على معاقبة كل من يحاول إيصال الأخبار إلى الخليفة و ذلك ليتمكن من تصريف الأمور حسب سياسته الفارسية، فعمل على تشويه الأخبار و الكذب لتغليط الخليفة[4].

و تظهر سياسة الفضل في أمور عدة منها ما قام به من إدخال للمراسيم و التقاليد الفارسية على البلاط العباسي، حيث كان يخلس على كرسي مجنح و يحمل فيه إذا أراد الدخول على الخليفة، و هي عادات كانت عند بعض وزراء الأكاسرة[5].

([1]) ابن طباطبا، المصدر السابق، ص 218

([2]) الجهشياري، المصدر السابق، ص 305

([3]) مصطفى شاكر، دولة بني العباس، ج 1، ط 1، وكالة المطبوعات، الكويت، 1973م، ص 492

([4]) نفسه، ص 492

([5]) نفسه، ص 493

كما أن القائد العربي هرثمة بن الأعين راح ضحية لأطماع و دسائس الفضل بن سهل، و ذلك عندما حاول نصح المأمون و اخباره بحقيقة الفضل قائلا: (قدمت هذا المجوسي على أوليائك و أنصارك)، و عمل على إبعاد كل من حاول نصح المأمون و كشف حقيقته و نواياه الشعوبية الفارسية، كما عمل على إبقاء المأمون في مرو[1] حتى يبقي مقر الحكم بين الفرس[2].

كما أن الفضل بن سهل هو الذي أوعز إلى المأمون بأن يجعل علي الرضا العلوي[3] و ليا للعهد و خليفة من بعده، فأحذ المأمون له البيعة بذلك سنة 201هـ و أمر جنده بطرح السواد و لبس الخضرة شعار العلويين[4].

هذه الأعمال التي قام بها الفضل في سبل خدمة لتوجهاته و أفكاره العنصرية الشعوبية دفعت الشعراء لمدحه، و هم نفسهم الذين كانوا يمدحون البرامكة و جعلوا منه برامكة آخرين، حيث يظهر في قصائدهم مدى القوة و النفوذ الذين وصل اليهما الفضل بن سهل، و من الأمثلة على ذلك ما قاله أحد الشعراء:

أقمتَ خلافةً و أزلتَ أخرى جليلُ ما أقمتَ و ما أزلْنَا

(1) **مرو**: من أشهر مدن خراسان و أقدمها و أكثرها خيرا، بناها ذو القرنين، و هي مدينة كثيرة الخيرات وافرة الغلات. أنظر: الحموي، المصدر السابق، ج 6 ، ص 111

(2) مصطفى شاكر، المرجع السابق، ص 493

(3) **علي الرضا**: أبو الحسن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر صادق بن محمد الباقر، الإمام الثامن لشيعة الإمامية، جعله المأمون وليا لعهد و تزوج ابنته توفي سنة 203هـ بالطوس. أنظر: ابن خلكان، المرجع السابق، ج 1، ص 269

(4) أحمد فريد الرافعي، المرجع السابق، ص 288

و قال آخر:

للفَضْل بن سهل يدُ تَقاصرَ عنها المَثَل

فنائِلُها للغنى و سطوتها للأجلْ

و باطنُها للنَّدَى و ظاهرها للقُبَلْ[1]

و مع هذا التطور الذي وصل اليه الفضل و قوة نفوذه و شهرته التي بلغت الأمصار، بدأت بعض الأصداء تصل إلى مسامع الخليفة المأمون الذي كان يجهل حقيقة ما يخطط له الفضل بن سهل، و تقول المصادر أن علي بن موسى الرضا هو الذي نبّه المأمون لما كان الفضل يستر عليه من أخبار و أنه سبب الفتنة التي حدثت منذ مقتل الأمين، و إن النّاس تنقم عليه أشياء، و يقولون عنه أنه مجنون، و قاموا بمبايعة عمه إبراهيم بن المهدي بالخلافة، في حين أن المأمون كان يظن أنهم سيروه أميرا عليهم و هذا حسب ما أقر به الفضل، فعلم المأمون أن وزيره كان يكذب عليه، و أن الحرب قائمة بين الحسن بن سهل[2] و عمه المهدي[3] ،

(1) أحمد فريد الرافعي، المرجع السابق، ص 287 . 288

(2) **الحسن بن سهل**: أبو محمد الحسن بن سهل بن عبد الله السرخسي، أخو الفضل بن سهل و من أكبر القادة في عصر المأمون، توفي في سرخس سنة 236هـ. أنظر: ابن خلكان، المصدر السابق، ج1، ص 141

(3) الطبري، المصدر السابق، ص 564

و ليتأكد المأمون من كلام علي الرضا قام بسؤال جماعة من قواده، فأكدوا ذلك و أخبروه بغضب أهل بيته و قواده و مواليه و وضحوا له حقيقة ما وقع بين الفضل بن سهل و هرثمة بن الأعين، و أن هرثمة كام يريد نصحه و تبيين الأمر له و أن الفضل دسّ إلى هرثمة من يقتله[1].

فلما تأكد المأمون من ذلك أمر بالرحيل إلى بغداد، و هذا ما لم يكن يتوقعه الفضل بن سهل و علم أن الخليفة قد تفطن لأهدافه الخبيثة، و رحل المأمون من مرو و عند وصوله إلى سرخس[2] دخلت جماعة على الفضل بن سهل و هو في الحمام فقتلوه، و كام ذلك في شعبان من عام 202هـ، و قيل أن المأمون هو من دسّ له من قتله[3].

و بعد مقتل الفضل جعل المأمون الحسن بن سهل أخ الفضل وزيرا له لما كان له من مكانة عنده، حيث كان يحب مجالسته و إطالة الحديث معه، لكن الحسن كان يثقل عليه ذلك فصار يتراخى في حضور مجالس الخليفة و يستخلف مكانه أحد كتابه[4]، و تزوج المأمون من ابنته بوران ترضية له على ما وقع مع أخيه الفضل، و بعدها قام بإبعاده و تنحيته من الوزارة و ذلك بحجة أنه كان مريض و عجزه عن ممارسة عمله[5].

([1]) الطبري، المصدر السابق، ص 564

([2]) **سرخس**: مدينة قديمة تقع في خراسان، و هي بين نيسابور و مرو. أنظر: الحموي، مصدر سابق،ج 3، ص 208

([3])الطبري، المصدر السابق، ص 564 . 565

([4]) أحمد فريد، الرافعي، المرجع السابق، ص 303

([5]) عبد الغزيز الدوري، العصر العباسي الأول، ص 166

ج/ الطاهر بن حسين

يعتبر الطاهر بن حسين من أهم قادة المأمون نظرا لدور الكبير الذي لعبه في الحرب ضد الأمين و لما حققه من انتصارات على جيش الأمين، و لما قدم المأمون إلى بغداد ولّى الطاهر على المغرب كله ثم ولاه خراسان برغبة منه، و ذلك حذرا من قربه من المأمون الذي لم يكن قد نسى مقتل أخيه، كما أن الطاهر كان مدفوعا بطموحه العظيم في طلب ولاية خراسان باعتبارها أهم ولايات الخلافة[1]، و يقول بن خلكان(ت681هـ): (قيل لطاهر في بغداد لما بلغ ما بلغ: ليهنك ما أدركت من هذه المنزلة التي لم يدركها أحد من نظرائك بخراسان، فقال: ليس يهمني ذلك لأني لا أرى عجائز بوشنج يتطلعن إلي من أعالي سطوحهن إذ مررت بهن)[2].

و كان طموح الطاهر يقلق المأمون، إذ أنه قال لوزيره: (إني أخاف أن يغدر و يخلع)، و كانت تولية الطاهر على خراسان بإشارة من الوزير أحمد بن أبي خالد[3] الذي ضمن للمأمون حسن تصرفات الطاهر و نيته في حالة توليته، و لم تمضى مدة طويلة حتى أنكر المأمون على الطاهر أمورا فأرسل اليه يهدده ، فكان رد الطاهر عنيفا مما أغضب المأمون، وهذا ما أدى إلى توتر العلاقة بينها، حيث قام

([1]) عبد العزيز الدوري، العصر العباسي الأول، ص 168

([2]) ابن خلكان، المصدر السابق، ج 1، ص 237

([3]): **أحمد بن خالد**: تولى و زارة المأمون بعد الحسن بن سهل، وكان شجاعا صادقا و مخلصا للمأمون. أنظر : الرافعي، المرجع السابق، ص 304

الطاهر بقطع اسم الخليفة من الخطبة في يوم الجمعة سنة 207هـ، و يكون بذلك قد أعلن انفصاله و استقلاله عن الخلافة معلنا بذلك قيام أول دولة مستقلة عن الخلافة في المشرق الإسلامي[1].

و نتيجة لما كان من الطاهر بن حسين و خروجه عن طاعة الخليفة، قام المأمون بلوم و زيره الذي كان قد ضمن في الطاهر و أمره بتنفيذ ضمناته و قال له سر و أتني به، و في يوم غد و صل إلى المأمون خبر موت الطاهر بن حسين فقال الحمد لله الذي قدمه و أخرنا، و قيل أن الوزير أحمد بن أبي خالد هو من دسّ للطاهر من يقتله[2].

بسبب النفوذ الفارسي الكبير في عهد المأمون يكون الطاهر بن حسين قد نجح في تأسيس أول دولة مستقلة عن الخلافة مجسدة للطموح الذي كان عند الفرس الذي هدفوا من خلاله إلى الاستقلال بالسلطة، وجعل نيسابور عاصمة لها، و خلفه أولاده في حكمها و عملوا على انشاء حكم مستقل في خراسان[3].

و من هنا يتضح لنا مدى القوة و النفوذ الذين وصل اليهما الفرس في عهد الخليفة المأمون، و ذلك بسيطرتهم على شؤون الدولة و تسييرها وفقا لما يتماشى مع سياستهم و طموحاتهم من خلال تقلدهم أعلى المناصب في الدولة، مما سمح لهم بتأسيس أول دولة مستقلة عن الخلافة في المشرق الإسلامي.

([1]) عبد العزيز الدوري، عصر العباسي الأول، ص 168

([2]) ابن جلدون، ج 3، المصدر السابق، ص 319

([3]) أمينة البيطار، المرجع السابق، ص 280 . 281

3/ الحركات الفارسية

إن الفرس المتعصبين لأفكارهم و معتقداتهم لما رأوا سلطانهم قد زال على يد العرب المسلمين، راحوا يكيدون للعرب و الإسلام مستخدمين في ذلك أساليب مختلفة حيث قاموا بعدة حركات سياسية و دينية و حتى عسكرية لعلهم ينجحون في القضاء على سلطان العرب و تحقيق الاستقلال عن الحلافة، ومن بين هذه الحركات حركة بابك الخرمي التي ظهرت في عهد الخليفة المأمون و هددت الوجود العباسي و الدين الإسلامي في الأقاليم الغربية لدولة العباسية.

أ/ أصل بابك و نشأته

ذكر المؤرخون ثلاث روايات في أصل بابك الخرامي

الأولى: أنه من ولد مطهر بن فاطمة بنت أبي مسلم الخراساني[1].

الثانية: كان أبوه رجلا من أهل المدائن يعمل دهانا نزح إلى ثغر أذربيجان[2] و سكن في قرية تدعى بلال أباذ[3]، و كان يحمل دهنه على ظهره و يطوف به بين القرى، فهوى امرأة عوراء و هي أم بابك، و كان يفجر بها، فبينما هما منتبذان عند القرية...و معهما شراب يعتكفان عليه، خرج من القرية

(1) الدينوري (أبو محمد عبد الله بن مسلم)، الأخبار الطوال، د ط، منشورات الشريف الرضي، د س ن، ص 402

(2) **أذربيجان:** اقليم واسع، تحدها من جهة الشمالية بلاد الديلم، وبها عدة مدن من و فيها قلاع كثيرة و خيرات واسعة و مياه غزيرة، فتحت في عهد عمر بن خطاب رضي الله عنه. أنظر: الحموي، المصدر السابق، ج 1، ص 128

(3) **بلاد أباذ:** مدينة مشهورة تبعد عن الري بسبعة و عشرين فرسخ، أول من استحدثها سابور ذو الأكتاف. نقسه، ص 48

نسوة يسقين الماء...فهجمن عليهن، فهرب عبد الله، و أخذن بشعر أم بابك، و جئن بها إلى القرية و فضحنها فيها، ثم إن ذلك الدهان رغب إلى أبيها فزوجه منها، فأنجبت بابك[1].

الثالثة: تقول أنه ابن غير شرعي[2].

و كان اسمه الحسن[3]، أما أسم والده فقد أختلف فيه، فقيل أن اسمه عبد الله أو مطهر و قيل أن اسمه مردس[4].

بعد موت والده أقبلت أمه ترضع للنّاس بالأجرة، إلى أن صار بابك ابن عشر سنين، و استأجره أهل قريته على سرحهم بطعام بطنه و كسوة ظهره[5].

كان هناك رجلان متشاجران في التملك لتوحيد أحدهما بالرياسة على خرمية البند، أحدهما يقال له جاويدان، و كان قد التقى ببابك في سفره و خاطبه فوجده فهما، فطلبه من أمه و أخذه معه، و لما قتل جاويدان أصبح بابك القائد و الحاكما فيهم، و تزوج من امرأة جاويدان و ادعا أن روح جودان انتقلت اليه[6].

([1]) المقدسي (مطهر بن طاهر)، البدء و التاريخ، ج 6، د ط، مكتبة الثقافة الدينية، د ب ن، د س ن، ص 114 . 115

([2]) الطبري، المصدر السابق، ج 9 ص 45

([3]) المسعودي، ج 3، المصدر السابق، ج 4، ص 48

([4]) السمعاني (أبي سعيد عبد الكريم بن محمد بن منصور)، الأنساب، ج 2، ط 1، الفاروق الحديثة لطباعة و النشر، د س ن، ص 80

([5]) المقدسي، المصدر السابق، ص 115

([6]) نفسه، ص 115 . 116

سعى بابك إلى تحقيق مآربه و بسط نفوذه، فأمر أصحابه من النواحي و القرى و أعطاهم سيوفا و خناجر، و أمرهم أن يخرجوا على الناس فلا يدعون رجلا و لا امرأة و لا صبيا و لا طفلا من قريب أو بعيد إلا قطعوه و قتلوه، فدخل النّاس رعب شديد و هول عظيم، و تجمع حوله قطاع الطرق و أرباب النحل الزائفة، حتى بلغ رجاله عشرين ألف فارس، و أخذ بالتمثيل بالنّاس و التحريق بالنّار و الانهماك في بالفساد[1].

و يذكر أن بابك الخرمي أمد في مذاهب الخرمية القتل و الغضب و الحروب و المثلية، و لم تكن الخرمية تعرف ذلك، لأن الخرمية الأولى كانوا يرون فعل الخيرات و ترك القتل و كانوا يتجنبون الدماء جدا إلا عند عقد راية الخلاف[2].

ب/ أهداف البابكية

كانت أهداف البابكية الرئيسية طرد العرب من البلاد، و إعادة مذاهب المجوس الخرمية والمزدكية و بناء دولتهم الفارسية و إبعاد الإسلام عن ميادين حياتهم، و ابطال الشريعة بأسرها، و لا يؤمنون بشيء من الملل، و كان أصحاب بابك يسمون المسلمين باليهود و يذيقونهم الذل و الهوان، و لأن بابك من الخرمية و اليهم ينتسب، فان جمع مذاهب الخرمية مذاهب مجوس[3].

([1]) الدينوري، المصدر السابق، ص 42

([2]) ابن النديم، الفهرست، د ط، دار المعرفة، بيروت ـ لبنان، د س ن، ص 480

([3]) سامي محمد يوسف الجعفري، التنافس عل السلطة في العصر العباسي الأول، ، أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في فلسفة التاريخ الإسلامي، قسم التاريخ، جامعة سانت كليمنتس، 2010م، ص 307

و تعتقد البابكية مذهب تناسخ الأرواح، أي انتقالها من حيوان إلى غيره[1]، و يعتقدون أن روح جاويدان دخلت في بابك[2]، و لهم عيد يجتمعون فيها على الخمر و الزمر و تختلط فيها نساؤهم مع رجالهم، و لا يصلون و لا يصمون[3].

و يمكن تلخيص أسباب قيام هذه الحركة في ما يلي:

ـ إن أكثر الخرمية كانت من بلاد خراسان و الري و أذربيجان و غيرها من تلك الأمصار، و يعرف هؤلاء هنالك بالباطنية، و كذلك أن القوات العباسية قد أنهكتها الحروب ضد المعارضة في مصر و الشام و العراق و الحرب مع البيزنطيين.

ـ عدم ولاء بعض الولاة في أذربيجان للخلافة العباسية

ـ و السبب الأخير هو اتفاق زعماء العجم على ضرب الإسلام و العروبة من خلال ضرب الخلافة العباسية، مدعومين بأفكارهم و توجهاتهم الشعوبية العنصرية و أهدافهم القومية[4].

ج/ قتال المأمون لبابك

كان ابتداء حرب بابك الخرمي على الخلافة العباسية سنة 201هـ/816م، فندب المأمون سليمان بن غالب الجبلي لقتاله، و لكن هذا القائد لم يلتقي ببابك، لأنه هرب حين سمع بعساكره، و في سنة

(1) ابن الأثير، المصدر السابق، ص 432

(2) ابن النديم، المصدر السابق، ص 482

(3) البغدادي، المصدر السابق، ص 269

(4) عبد العزيز الدوري، العصر العباسي الأول ، ص 183 . 184

204هـ/819م كلف المأمون القائد يحي بن معاذ لقتال بابك، و حدثت بينهما معارك، ولكنه لم ينتصر عليه في معركة منها، و في سنة 205هـ/820م ولى المأمون عيسى بن محمد بن أبي خالد أرمينية و أذربيجان و محاربة بابك، لكن بابك استطاع أن يهزمه ، و في سنة 207هـ/822م كلف المأمون عبد الله بن الطاهر بن حسين لقتال بابك، لا كنه لم يحقق أي نتيجة من حملته، و في عام 209هـ/824م ولى المأمون صدقة بن على أرمينية و أذربيجان و محاربة بابك، و انتدب للقيام بأمره أحمد بن الجنيد الذي أسره بابك، فولى إبراهيم بن الليث النجيبي أذربيجان، وكان أمر بابك قد استعظم و كثر مؤيديه و اشتد أمره على المسلمين[1].

أما في سنة 212هـ/827م و جه المأمون محمد بن حميد الطائي إلى بابك لمحاربته، و أقام محمد بن حميد حتى أمن البلاد و عبأ لقتال بابك، و حاربه بشديدة، و انتصر في اغلب معاركه ضد بابك، و في يوم من الأيام سار ابن حميد إلى مكان ضيق فترجل هو و جماعته، فهجم عليه أصاب بابك فقتل محمد بن حميد الطائي و انهزم الجيش و كان ذلك سنة 214هـ/829م[2].

بعد وصول خبر مقتل محمد بن حميد الطائي إلى المأمون عظم ذلك عنده، و ولى علي بن هشام الجبال و أذربيجان و حرب بابك، و حدثت بينهما معارك عدة في سنة829/214م، و استطاع بابك منذ بدأ حركته سنة 200هـ/815م حتى نهاية حكم المأمون، أن يلحق الهزائم بجيوش الدولة العباسية، و أن يقتل كبار قادتها و حقق نجاحا باهرا، و أثار الرعب و الذعر في نفوس المسلمين.

([1]) الجعفري، المرجع السابق، ص 308 . 309

([2]) نفسه، ص 310

و بهذا تكون الخرمية أقوى الحركات الفارسية في العصر العباسي الأول، و التي لم يستطع المأمون مواجهتها و ألحقت بجيشه خسائر فادحة، و كل محولاته للقضاء على هذه الحركة اصطدمت بالفشل، وتوفي المأمون قبل أن يتمكن من القضاء عليها و أوصى أخاه المعتصم بمحاربتها.

الخاتمة

خاتمة

من خلال ما تقدم ذكره نجد أن حركة الشعوبية كانت بمثابة ردت فعل من قبل الشعوب غير العربية ضد الإسلام و العرب، حيث كانت في البداية تدعوا إلى المساواة و العدل بين العرب و العجم، و بعد قيام الدولة العباسية استفحلت هذه الحركة أواسط المجتمع الإسلامي و كان لها دور كبير في الأحداث التي ميزت تلك الفترة و شملت مختلف المجالات السياسية و الاجتماعية و الثقافية، و كان الصراع بين الأمين و المأمون يمثل طابع العنصرية الشعوبية ضد العرب، و لعب الفرس دورا كبيرا في هذا الصراع بغية العودة إلى بلاط الخلافة بعد أن قضى الرشيد على نفوذهم في حادثة نكبة البرامكة المشهورة، و فعلا عادوا لسيطرة من جديد على مقاليد الحكم مقابل تراجع العنصر العربي، و نخلص إلى أن:

ـ الشعوبية في بداية ظهورها كانت تختفي وراء مبدأ المساواة بين العرب و غيرهم و ذلك لتعصب الأمويين للعرب و تضيقهم على الموالي و عدم السماح لهم بالوصول إلى مناصب عليا في الدولة و اضطهادهم لكل الحركات المناوئة لهم.

ـ أوجد قيام الدولة العباسية أرضا خصبة لنشاط الشعوبيين و خاصة الفرس الذين تمكنوا من الوصول لأعلى المناصب في الدولة و أحكام قبضتهم عليها و السعو إلى إضفاء الطابع الفارسي على مقاليد الحكم في البلاط العباسي.

ـ عدم تعصب العباسيين للعرب و تقديمهم على الشعوب الأخرى سمح للشعوبية بنشر أفكارها و السعي إلى تحقيق أهدافها، حيث نشطت في مختلف المجالات.

ـ عمل الشعوبيون على احياء تراث و ثقافات الشعوب الأخرى خاصة الفرس ، حيث ظهر الكثير من الأدباء و المترجمين الذين عملوا على ترجمة التراث الفارسي لاحيائه و تذكير العناصر الفارسية بتاريخهم و أمجادهم التي يجب عليهم أن يفتخروا بها.

ـ ظهور العديد من الكتاب و الشعراء الشعوبيين الذين ألفوا العديد من الكتب في مثالب العرب للحط من شأنهم و تحقير بهم، و تمجيد ماضيهم و افتخار بأنسابهم.

ـ كان للعنصر الفارسي دور كبير في اذكاء الصراع بين الأمين و المأمون، حيث أعتبر هذا الصراع صراعا بين الكتلة العربية التي ساندت الأمين و الكتلة الفارسية التي ساندت المأمون لأنهم أخواله و رأوا فيه السبيل الوحيد لتحقيق غاياتهم.

ـ أتاح الصراع بين الأمين و المأمون لفرس السيطرة على مقاليد الأمور في الدولة العباسية ، حيث استفحل نفوذهم في عهد المأمون و بسطوا أيديهم و أصبحوا هم الدولة، مما مكنهم من تحقيق أحد أهدافهم المتمثلة في استقلالهم بالحكم في بلاد فارس و ذلك من خلال تأسيس دولة مستقلة عن الخلافة العباسية في المشرق الإسلامي و هي الدولة الطاهرية.

و في الأخير يمكن القول أن الشعوبية في عهد الأمين و المأمون أعطت لنا صورة واضحة على مدى حقد الشعوب الأخرى على الإسلام و العرب خاصة الفرس، و ذلك من خلال الدور الكبير الذي لعبوه في تأجيج نار الفتنة بين الأخوين، و التي كادت أن تعصف بالدولة العباسية و الخلافة الإسلامية.

قائمة المصادر و المراجع

القرآن الكريم

أولا:

1 ـ الإتليدي: (محمد دياب)، اعلام الناس بما وقع للبرامكة مع بني العباس، ط 1، دار الصادر، بيروت ـ لبتان، 1990م

2 ـ ابن الأثير: (أبي الحسن بن أبي كرم محمد بن محمد الشيباني)، الكامل في التاريخ، تح أبي الفداء عبد الله القاضي، ط 1، دار الفكر، بيرت ـ لبنان، 1987م.

3 ـ البغدادي: (عبد القادر بن الطاهر بن محمد)، القرق بين الفرق، د ط، مطبعة المدني، القاهرة ـ مصر، د س ن.

4 ـ الجاحظ: (أبي عثمان عمرو بن بحر)، البيان و التبين، تح عبد السلام محمد هارون، ط 7، مكتبة الخانجي، القاهرة ـ مصر، 1998م.الصادر، بيروت ـ لبنان، 1997م

–الحيوان، تح عبد السلام هارون، مطبعة البابي الحلبي، مصر، 1968م.

5 ـ الجزري: (عز الدين بن الأثير أبي الحسن علي بن محمد)، أسد الغابة في معرفة الصحابة، د ط، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، د س ن.

6 ـ الجهشياري: (أبي عبد الله محمد بت عبدوس)، الكتاب و الوزراء، د ط، دار الفكر الحديث، بيروت ـ لبنان، 1988م.

7 ـ الحموي: (شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي البغدادي)، معجم البلدان، د ط، دار الصادر، بيروت ـ لبنان، 1977م.

8 ـ ابن خلدون: (عبد الرحمن بن خلدون)، تاريخ ابن خلدون، د ط، دار الفكر، بيروت ـ لبنان، 2000م.

9 ـ ابن خلكان: (أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر)، وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان، تح احسان عباس، د ط، دار الصادر، بيروت ـ لبنان، د س ن

10 ـ الدينوري: (أبي حنيفة أحمد بن داود)، الأخبار الطوال، د ط، منشورات شريف الرضي، د ب ن، د س ن.

11 ـ الذهبي: (شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان)، سير أعلام النبلاء، ط 2، مؤسسة الرسالة، بيروت ـ لبنان، 1982م.

12 ـ الزبيدي: (محمد المرتضي الحسيني الواسطي)، تاج العروس، د ط، دار الصادر، بيروت ـ لبنان، 1966م.

13 ـ الزمخشري: (أبو القاسم محمود)، المفضل في النحو، د ط، مطبعة التقدم، مصر، 1323هـ.

14 ـ السمعاني: (أبي سعيد عبد الكريم بن محمد بن المنصور)، الأنساب، ط 1، مكتبة الفاروق الحديثة للطباعة و النشر، د ب ن، د س ن.

15 ـ السيوطي: (جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر)، تاريخ الخلفاء، تح ابراهيم صالح، ط 1، دار الصادر، بيروت ـ لبنان1997،

16 ـ ابن الجوزي: (أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد)، المنتظم في تاريخ الملوك و الأمم، تح مصطفى عبد القادر عطا، د ط، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، د س ن.

17 ـ ابن طباطبا: (محمد بن علي بن طقطقا)، الفخري في الآداب السلطانية و الدول الإسلامية، د ط، دار الصادر، بيروت ـ لبنان، د س ن.

18 ـ الطبري: (أبي جعفر محمد بن جرير)، تاريخ الرسل و الملوك، تح محمد أبو الفضل ابراهيم، ط 2، دار معارف، مصر، د س ن.

19 ـ ابن عبد ربه: (أحمد بن محمد الأندلسي)، العقد الفريد، تح عبد المجيد الترجيني، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، 1983م.

20 ـ ابن عمراني: (محمد بن علي بن محمد)، الأنباء قي تاريخ الخلفاء، تح القاسم السامرائي، ط 1، دار الآفاق العلمية، القاهرة ـ مصر، 1999م.

21 ـ القرماني: (أحمد بن يوسف)، أخبار الدول و آثار الأول في التاريخ، ط 1، عالم الكتب، د ب ن، 1995م.

22 ـ القضاعي: (محمد بن سلامة بن جعفر الشافعي أبو عبد الله)، عيون المعارف و فنون أخبار الخلائق، تح جميل عبد الله محمد المصري، د ط، جامعة أم القرى، السعودية، 1995م.

23 ـ القفطي: (الوزير جمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف)، انباه الرواة عن انباه النحاة، تح محمد أبو الفضل ابراهيم، ط1، دار الفكر العربي، القاهرة ـ مصر، 1986م.

24 ـ ابن كثير: (الحافظ عماد الدين أبي الفداء اسماعيل بن عمر القريشي الدمشقي)، البداية و النهاية، تح عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط 1، دارالهجر، جيزة ـ مصر، 1998م.

25 ـ المسعودي: (أبي الحسن بن علي)، مروج الذهب و معادن الجوهر، ط 1، المكتبة العصرية، بيروت ـ لبنان، 2005م.

26 ـ المقدسي: (مطهر بن الطاهر)، البدأ و التاريخ، د ط، مكتبة الثقافة الدينية، د ب ن، د س ن.

27 ـ ابن منظور: (أبي الفضل جمال الدين محمد بن كرم الإفريقي المصري)، لسان العرب، د ط، دار الصادر، بيروت ـ لبنان، د س ن.

28 ـ ابن النديم: الفهرست، د ط، دار المعرفة، بيروت ـ لبنان، د س ن.

ـ ثانيا: المراجع

1 ـ أمين أحمد: ضحى الإسلام، د ط، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، د س ن.

2 ـ أيوب ابراهيم: التاريخ العباسي السياسي و الحضاري، ط 1، دار الكتاب العالمي، بيروت ـ لبنان، 1989م.

3 ـ بك محمد الخضري: محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية الدولة العباسية، ط 1، مؤسسة المختار للنشر و التوزيع، القاهرة ـ مصر، 2003م.

4 ـ البيطار أمينة: تاريخ العصر العباسي، ط 4، منشورات جامعة دمشق، دمشق ـ سوريا، 1996م.

5 ـ الخراشي سليمان بن صالح: الشعوبية عند الشيعة الفرس، ط 1،دار المفتي، د ب ن، 2009م

6 ـ الدوري عبد العزيز: الجذور التارخية للشعوبية، د ط، دار الطليعة، بيروت ـ لبنان، د س ن.

ـ العصر العباسي الأول، ط 3، دار الطليعة، بيروت ـ لبنان، 19977

7 ـ الرافعي أحمد فريد: عصر المأمون، د ط، مؤسسة هنداوي للتعليم و الثقافة، القاهرة ـ مصر، 2012م.

8 ـ الروضان عبد العون: موسوعة شعراء العصر العباسي، ط ، دار أسامة، عمان ـ الأردن، 2001م.

9 ـ السامرائي عبد الله السلوم: الشعوبية حركة مضادة للإسلام و الأمة العربية،د ط، د ب ن، د س ن.

10 ـ السيد عبد العزيز سالم: دراسات في تاريخ العرب العصر العباسي الأول، د ط، مؤسسة شباب الجامعة، اسكندرية ـ مصر، 1993م.

11 ـ شاكر مصطفى: دولة بني العباس، ط 1، وكالة المطبوعات، الكويت، 1973

12 ـ الشريف محمد بديع: الصراع بين الموالي و العرب، د ط، دار الكتاب العربي، مصر، 1959م.

13 ـ الشكمه مصطفى: الشعر و الشعراء في العصر العباسي، ط 6، دار العلم للملايين، بيروت ـ لبنان، 1986م.

14 ـ الشلبي أحمد: موسوعة التاريخ الإسلامي، ط 1، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ـ مصر، 1980م.

15 ـ ضيف شوقي: تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الأول، ط 8، دار المعارف، القاهرة ـ مصر، د س ن.

16 ـ طقوش محمد سهيل: تاريخ الدولة العباسية، ط 7، دار النفائس، بيروت ـ لبنان، 2009م.

17 ـ عجيبة أحمد علي: دراسات في الأديان الوثنية القديمة، ط 1، دار الآفاق العربية، القاهرة ـ مصر، 2003م

18 ـ عطوان حسين: الزندقة و الشعوبية في العصر العباسي الأول، د ط، دار الجيل، بيروت ـ لبنان، د س ن.

19 ـ فرج هولو جودت: البرامكة سلبياتهم و اجابياتهم، ط 1، دار الفكر البناني، بيروت ـ لبنان، 1990م.

20 ـ كرد علي محمد: الإسلام و الحضارة العربية، د ط، دار الكتب العربية، القاهرة ـ مصر، 1934م.

21 ـ ناظم رشيد: الأدب العربي في العصر العباسي، د ط، دار الكتب للطباعة و النشر، الموصل ـ العراق، 1989م.

22 ـ هدارة محمد مصطفى: اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني هجري، د ط،دار المعارف، القاهرة ـ مصر، 1963م.

ـ ثالثا: المذكرات و الرسائل

1 ـ أحمد العباسي هدى: قضية ولاية العهد منذ تأسيس الدولة العباسية حتى و فاة المتوكل، رسالة قدمت لنيل شهادة ماجستير في تاريخ العرب و الإسلام، قسم التاريخ، كلية الأدب و العلوم الإنسانية، جامعة دمشق، دمشق ـ سوريا، 2006م.

2 ـ الجعفري سامي محمد الشريف: التنافس على السلطة في العصر العباسي الأول، أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتراه في فلسفة التاريخ الإسلامي، قسم التاريخ، جامعة سانت كليمنتس، 2010م.

ـ رابعا: المجلات

1 ـ حسن صالح رمضان: النهج الشعوبي عند البرامكة، مجلة الأبحاث، كلية التربية الأساسية، مج 9، العدد 4، الموصل ـ العراق، 2010م.

فهرس الموضوعات

الإهداء

الشكر

المقدمة

المحث الأول: الشعوبية أصولها و تطورها **7**

ـ تعريفها **7**

ـ ظهورها و تطورها **11**

ـ أهدافها و مظاهرها **19**

المبحث الثاني: الشعوبية في عهد الأمين **40**

ـ الأمين حياته و توليه الخلافة **40**

ـ الصراع بين الأمين و المأمون **47**

ـ أسباب هزيمة الأمين **61**

المبحث الثالث: الشعوبية في عهد المأمون **66**

ـ دور الفرس في وصول المأمون إلى الخلافة **66**

ـ النفوذ الفارسي **71**

ـ الحركات الفارسية **78**

الخاتمة **85**

قائمة المصادر و المراجع **87**

فهرس المحتويات **93**